

من تراث الغماريين

أولياء وكرامات

النقد المبرم لرسالة الشرف المحتم

للمحافظ السيوطي

نقد وتحليل لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي

وفقه الله... وعفا عنه

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة القاهرة:

تليمن ٥٩٠٥٩٠٩

الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع والنشر والترزيع محفوظة.

مكتبة القاهرة :

الرئيسي ١٢ في انصنادقية بالأزهر

النسخ : ١٩ حزب الأئمة خلف الجامع الأزهر

ص ب ٩٤٦ العتبة

تليفون ٥٩٠٥٩٠٩

القاهرة

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٩٨ / ١١٣٥٧

التقسيم الدولي :

I. S. B. N.: 977 - 5437 - 55 - 5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ كَسَيْفٌ يُسَائِلُ
 تُخَفِّي عَلَى الْحُلَاقِ وَالْمُسْطَاءِ
 يَنْفِي عُلُوًّا قَدْ أَضْيَفَ جَهَنَّمَ
 لِحُجْمِ عَسَةِ الْفَضْلَاءِ وَالْعُجَاءِ
 فَالْأَوَّلِيَاءُ لَهُمْ كَسِرَامِسَاتُ أَنْتِ
 حَسْبُكَ سِلَا يُكْسِرُ وَلَا عُسْوَاءِ
 لِكَيْتُهَا لَا تَنْتَهِي أَبَدًا إِلَى
 مَا قَدْ يَفُوقُ نَصْرَ الْعُقَلَاءِ
 أَعْنِي مُجَالًا لَا تَكُونُ كَسِرَامِسَةٍ
 كَسَلًا وَلَا كَسَلِيًّا عَلَى النَّجَسِيَاءِ (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي له ما في الأرض والسموات، وأرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات، وأحب أوليائه وأنعم عليهم بالكرامات :
أما بعد . . .

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا، يتناول بالبحث والتدقيق موضوعاً في غاية الأهمية، ألا وهو كرامات الأولياء والصالحين .

والمؤلف - رحمه الله - مثلك في كتابه هذا متبعاً عدلاً، وطريقة وسطاً، فكل ما وافق الكتاب والسنة من كرامات الأولياء والصالحين أثبتته وأيده، وكل ما خالف الكتاب والسنة كشف زيفه وأظهر بطلانه، أيّاً كان صاحبه ومهما بلغ من شأنه وعُلو ذكره بين العوام وغيرهم من فئات الناس .

وبخسب أن نُصدّر هذا الكتاب بكتمة جليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الشأن، حيث قال رحمه الله :

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ : مثل أنشقاق القمر، وتسبيح الخصال في كفه، وإتيان الشجر إليه، وحسن الخبز إليه، وإخباره ليلة المراج بمسافة بيت المقدس، وإخباره بما كان وما سيكون، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة . . . ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً :

مثل ما كان لأسيد بن حضير، مقراً سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وعباد

بن بشر وأسيد بن حبيب مخرجاً من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افرقا افرق النور معهما، رواه البخاري وغيره .

وقصة الصديق في الصحاح لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربي من أسقطها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ثلث : فتظن إليها أبو بكر وإسرائته فإذا هي أكثر مما كانت، فرقعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكثروا منها وشبعوا .

وعن حبيب بن عدي : كان أسيراً عند المشركين بمكة ... شرفها الله تعالى ... وكان يؤتى بعنق بأكله وليس بمكة عنية . .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الظهر وكانت صائخة سمعت حساً على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها .

وعن ابن الجلاب : لما أرسل جرداً أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبعث إلى سارية : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فيخطب فيجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فيسأل فقال يا أمير المؤمنين لعينا عدواً قهرمونا، فإذا بصائح : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فاستأنا ظهورنا يا جبل غهرهم الله .

وهذا من المفسرسي : كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه : يا عليم ! يا حليم ! يا علي ! يا عظيم ! فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقطوا ويشوضوا لما عدوا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما أتت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يحدوه في الدفن .

وهذا ناب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه عن أعيان ونعرفه في هذا الزمان فكثير .

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - عن ما يظنه كثير من الجهلاء أنه كرامات ولكنه في حقيقة الأمر أحوال شيطانية .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن

النسبي عليه السلام، وكان قد ظن بعض الصالحية أنه الدجال، و«الأسود العنسي» الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور الخفية، وكذلك حال «مسيمة الكذاب» كان معه من الشياطين من يخبره بالشغيات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون.

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها أن «كرامات الأولياء» سببها الإيمان القوي، و«الأحوال الشيطانية» سببها ما نهى الله عنه ورسوله، مجمع الفتاوى ج ١.

ومما سبق يتبين لنا أن هناك كرامات للأولياء موافقة للكتاب والسنة، وأحوال شيطانية يفعلها الجن لأوليائهم، وهي مخالفة للكتاب والسنة.

وما قام به مؤلف هذا الكتاب هو التفريق بين كرامات الأولياء وبين أحوال أولياء الشياطين، حيث نصر الحق على الباطل بالدليل من الكتاب والسنة، فجزاه الله خيراً، ورحمه الله تعالى..

الناشر

مكتبة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبب تأليف الكتاب

الحمد لله مظهر الحق ومعليه، ومدحض الباطل ومخفيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالصدق وأرشد إليه، ونهى عن الكذب وأخبر بوجوب الذلعة عليه، ورضى الله عن آله الكرام وصحابته الأعلام، وعمن نهج نهجهم في اتسبك بالصدق، والتزام قول الحق، لا يبعثون به بديلاً، ولا يتخذون غيره سبيلاً محتلين قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أما بعد ...

فقد وقفت - وأنا في سن الطلب - على رسالة منسوبة للحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - اسمها:

«الشرف المحتم فيما من الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يده النبي ﷺ»، فلم أعرها كبير اهتمام، بل قبلت ما جاء فيها بالإذعان والاستسلام، ولما قرأت علم الأصول، وتمكنت فيه، وعرفت فوائده من خوافيه، أدركت بطلان تلك الكرامة التي ألفت الرسالة لإثباتها، ونسبت في كتابي «مصابيح الزجاجية في صلاة الحاجة» على ذلك، ثم أعيد طبع تلك الرسالة في هذه الأيام، فرأيت خطورة ما تحويه من نسبة شيء إلى النبي ﷺ، لم يحصل منه، وهذا أمر لا يجوز السكوت عليه، ولا يصح إغفاله.

فأردت أن أبين في هذه الورقات، كذب تلك الكرامة المفتعلة، وأبرهن على بطلانها بقاعدة أصولية، لم ينسب لها كثير من العلماء، فضلاً عن دونهم، كما أبين بطلان نسبة الرسالة إلى الحافظ السيوطي - رحمه الله ورضي عنه - ثم أذكر بعد ذلك كرامات، نسبت إلى عدد من الأولياء، ولم تحصل منهم، وإنما صنعها أتباع والمحبون المشغولون، والله أعلم أن يهدينا سواء السبيل، فهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

مقدمة

في ذمّ التّعالى

كثير من الناس، إذا سمعوا بكتابي هذا وراوه، فسوف يعترضون عليّ، ويقولون سيّام اللوم إليّ، وسوف يقولون عني: إني ملئت ثلوهابية، أو أخذت، فتعجيزي قدرة الله، أو نافقت، لإنكاري بعض الكرامات، إني غير هذا مما يتردد عليّ أنسنة الجهلة أعداء البحث العلمي، وانتصار الخرافات والأوهام^(١)، وذلك لا يضبرني، بل يزيّنني عند الله وعند العلماء الصّفيين، لأنني نفيت عن رسول الله ﷺ كذباً، يلحقني ألّم لو لم أنفه عنه، وقد قيل ليحيى بن معين: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين جرحتهم خصماءك يوم القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خصماءي، أحسب إلى من أن يكون النّبي ﷺ خصمي، حيث ثم أذبه عنه الكذب^(٢)، وفتصوّف صادق في القول والعمل، وليس ثلقناً فلا كاذيب، ولا شرويحاً لها؛ وأنا صوفي عقيدة ونسباً، شاذلي طريقة ومشرافاً، أعتقد الكرامات، ولي فيها تاليف جيد مفيد، اسمه الخجيج البيّنات في إثبات الكرامات^(٣)، وهو مغنوع، لكن لا أريد الخرافات، والفرق بين الكرامة والخرافة ظاهر، يعرف بالعرض على قواعد علم الكلام والأصول، ومن لا يحسن قواعد هذين العلمين، يحسن به أن يسكت عن الكلام في موضوع الكرامات، لأنه إذا تكلم ففسح نفسه، وأظهر جهله، وتعجيز قدرة الله تعالى، كفر صريح، لكن لا علاقة له بنفي ما قام الدليل على بطلانه.

أما النّداف: فحشره هنا حشو ولنمو من القول، لأنه بأنواعه^(٤) الثلاثة؛ أبعد ما يكون عن الكرامات، بله الخرافات.

هذا وما لاشت فيه إن التّعالى مذموم، لأنه خروج عن حد الاعتدال المقبول.

(١) الناس في هذا الوقت لا يعرفون الاعتدال، فإما أن يعتقدوا ما يسكنهم من الأولياء جميعه، لا يفرقون بين غله وسميته، وإذا أنكر الشخص بعض الكرامات التي اقتضى بتلايل بطلانها، اعتبره وهاياً وتصوره العداء، وأما أن ينكروا الأولياء وكراماتهم جملة، ويعتبروا معتقد ذلك مغروراً كـ: «أولئك خلاف هذين الطريقين».

(٢) وقال يحيى أيضاً: نحن نخرج الناساً لعلمهم سطوا رحالهم في الجنة منذ زمان، يعني أنهم كانوا بها حين.

(٣) هي: نفاق كفر، ونفاق عمل، ونفاق اجتماع، وقد يستنها بأمتلها في خواطر دنية.

ولذلك نهى النبي ﷺ الأمة عن التغالي في شأنه فقال: « لا تطربوني كما اطرب النصراني عيسى؛ وقولوا عيد الله ورسوله » لأنه عليه الصلاة والسلام، خشي أن يحمل حبه أناساً من أمته أن يدعوا فيه الألوهية، كما ادعاه النصراني في عيسى، حيث زعموا فيه أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد عصم الله أئمة الحمدة من ذلك؛ فلم يصفوه بأكثر مما هو وصفه، كما قال أبو بصير:

فمستبغ المعلوم نفسه أنه يشتر

وأنته خسر خلق الله كلهم

لكن تغالي كثير من الناس في الأولياء، فرفعوهم إلى رتبة النبوة حيناً، وإلى رتبة الألوهية حيناً آخر.

من النوع الأول: جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: « إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق ليبغني سلام من علي من أمتي » الحديث، وقال المتغالون في الأولياء - وكذبوا - : « إن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجات الزائرين المشومين بذلك أتولي، وهذا مخالف لما فاته الصوفية أنفسهم، فقد قال القطب شمس الدين محسن الحنفى: « إذا مات التولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت، أو قضاء حاجة، فهو من الله تعالى، علي يد القطب صاحب الوقت، يعني أتولي الخ، لأن الميت لا إمداد عنده، ولا ملك عند قبره.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ، هاجر من مكة إلى المدينة، بوحي من الله تعالى.

وقال المتغالون في السيد أحمد البدوي: إنه لم يذهب من مكة إلى العراق، إلا بأمر الهاتف الذي أمره بالسفر، وقال له: « إن لنا في ذلك شأنًا، ثم رجع إلى مكة، فأمره الهاتف أيضاً بالذهاب إلى طندتا، وقال له أيضاً: « إن لنا في ذلك شأنًا، وهكذا لم يكن يتحرك السيد البدوي إلا بوحي، كما لم يكن النبي ﷺ يتحرك إلا بوحي.

ومن النوع الآخر: قال الله تعالى عن عيسى - عليه السلام - حاكياً علي لسانه: ﴿ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وحكى المتغالون - وكذبوا - عن الشيخ جلال الدين الرومي: « إن أناساً كانوا يناقشونه في كرامات الأولياء، وذكروا إحياء الموتى معجزة لعيسى - عليه السلام - فذكر

نهم أنه يفعل مثلها، ومسرته بهم جنازة، فاستأروا على النسيجين بالوقوف، ثم سأل المتناقشين: كيف كان عيسى يحيى الموتى؟ قالوا: كان يقول للحيت قم بإذن الله، فيقوم. قالت الفتاة الشيع جلال الدين إلى الميت: وهو على النعش... فقال له: قم بإذني، لنقام! هذه رتبة الألوهية، ولكن المشتغلين والخرفين لا يرون فيها شيئاً، بل يحتاجون صحتها بحديث قدسي يقول: عيسى! اطمعني أجعلك رباباً نقول للنبي: كن فيكون ٢.

وفاتهم أمراً:

١. أن هذا الحديث لا أصل له، بمعنى أنه لم يروه أحد من أهل الحديث، ولا يوجد في شيء من كتب السنة ١.

٢. إنا لله تعالى فإن عيسى... بعدد اسمه عليه... ﴿وإذا نهضت من الليل فليحذر الظلم بإذني فستخرج فيها فتكون ظمراً بإذني ويؤمى إلى كنهه والآخرى بإذني وإذا أخرج الموتى بإذني﴾ (المائدة: ١١٠)، ثم بعد رتبة قول كبر، مع أنه من أفضل العبيد الريانيين، نعم أعطى النبي ﷺ شخصاً له، فنى غيرة تبوك إلى الصغانية شيئاً من بعيد، فقالوا: هذا شخص يريد الحقوق بنا، فقال النبي ﷺ: «كن أبا حشمة» فإذا هو أبو حشمة، وشاهدوا شيئاً آخر، فقال النبي ﷺ: «كن أبا ذر» فإذا هو أبو ذر، أما قول محشاه الدمنوري: تركت قولى للنبي: كن فيكون، منذ عشرين سنة، أدياً مع الله... عز وجل... فقد أوفى بعض كبار الصوفية بأن معناه: أنه كان معجلاً بالدعوة، كلساً دعاً أجيب، ثم ارتفع عن ذلك إلى الله تعالى، فصار بمراد الله لا بمراده، فترك الدعاء، وهذا تناقض مشعشع.

وحصلت مناقشة بين وهابى وخصمه بالمنصورة، كنت حاضراً فيها، فقال الوهابى لخصمه: لم تذهب إلى قبر آلولى فتشتكى فلاناً الذى ظلمك؟ ولم لا ترفع شكواك إلى الله؟ فرد عليه خصمه بقوله: وبئس ما قال - لا أشتكى إلى الله تعالى، لأنه حلیم يهمل، وأشتكى إلى الولي، لأنه عجب، يعطى فى الغل، فمررت به خطيبته، وبينت له: أن الله تعالى إذا أهمل شخصاً ولم يعاقبه، فلا يستطيع ولي ولا نبي ولا ملك تعجيل عقوبته، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

(١) وإنما هو من الإسرائيليات، مثل الحديث القدسي: «ما سئمت أرضي ولا سمعتي روضتي فلب عيسى المؤمن»، فهو من الإسرائيليات أيضاً.

[الأنعام: ١٠٨] ... ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ أُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ [١٠٩] ﴿الجن: ٢٢﴾، ويقول النبي ﷺ في وصيته لابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينقضوك بشئ لم ينقضوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك».

وليس ألولى إلا رجلاً صالحاً ترجى بركة دعائه، أو بركة الاستسماح به، أما أن يفعل شيئاً لم يردّه الله، فلا يقدر عليه هو ولا العالم بأجمعه ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ١٧].

وهذا من أليذهيات في عقيدة الإسلام، لكن الجهل بالدين، عم أغلب الناس، فوقعوا في الضلال وهم لا يشعرون.

الباب الأول

وهو يشتمل على فصلين :

الفصل الأول

إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ

في إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ جاء في رسالة الشرف أختتمت عن الشيخ عز الدين عمر أبي الفرج الفاروق الواسطي، قال: كنت مع شيخنا ومقرعنا سيدنا أبي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه عام خمس وخمسين وخمسائة: العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصلى منية الرسول ﷺ، وقف تجاه حجرة النبي ﷺ، وقال علي رعونس الأشهاد:

السلام عليك يا جدي، فقال له ﷺ: وعليك السلام يا ولدي، مسمع ذلك كل من في المسجد النبوي، فتوجد سيدنا السيد أحمد الرفاعي، وأرعد وأصفر لونه، وجدا على ركبته، ثم قام وبكى وأن طويلاً، وقال: يا جداه:

في حادثة البعسد روي كنت أرسلها

تقبيل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشميساح قسد حشرت

فأمسدد بحينك كي تحطى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة، من قبره الأزهر، فقبلها في ملا يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون إيد الشريفة، وكان غي المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الخرائي، والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم، وتشرفنا معهم برؤيا إيد أحمدية الزكية، وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قيس الخرائي، خرقه السيد أحمد الرفاعي الكبير^(١)، وأندرج في سلك أصحابه.

(١) هذا الوصف يدل على كذب القصة أيضاً، وأنها صنعت في عهد متأخر، لأن الشيخ أحمد بن الرفاعي لم يوصف بالكبير إلا بعد وجود الشيخ عفي الرفاعي، لتمييز بينهما.

ومن طريق آخر، عن الشيخ علي بن إدريس الميعقوبي، عن شيخه القطب الفرد الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم البغدادي، قال: كنت في محفل الكرامة التي أكرم الله بها الشيخ أحمد الرفاعي الكبير بتقريب يد النبي ﷺ. قال الميعقوبي: فقلت: أي سيدي أما حسده علي هذه الكرامة من حضر من الرجال؟ فبكى رضي الله عنه، ثم قال: يا ابن إدريس علي بغيظه الله الأعلى.

وعن الشيخ عدي بن مسافر، وخادمه الشيخ علي بن موهوب، قالوا: كنا في مسجد النبي ﷺ، عام حرجنا، وكان الشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه - واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات ضبطها عنه جماعة، فما أتم كلامه، إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبلها ونحن ننظر مع الحاضرين، قال ابن موهوب: والله كأي بها وقد خرجت من انقبر الشارك، يد بيضاء سوية، طويلة الأصابع، كأنها البرق المضيء، وكأني بالحرم وأهله، وقد كاد يمس، وقد كادت تقوم قيامة الناس، لما أتم بهم من الدهش والحيرة، والتهيبة والسلطان الممدي، وقد قام الرعب وقعد بشكبير الناس، وصلاتهم عليه ﷺ.

هذه هي القصة التي يعدها المتصوفة معجزة للنبي ﷺ، وكرامة للشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه -.

والنبي ﷺ له معجزات كثيرة، وهو حي في قبره الشريف، بدلالة القرآن والسنة والإجماع، يرد سلام من يسلم عليه، ويشفع فيمن استشفع به، والشيخ الرفاعي أهل لهذه الكرامة وغيرها، لأنه من الأقطاب الكبار الذين نعتقد ولا يتهم الكبري، لكننا نهرم بأن هذه القصة مكتوبة، لا تصيب لها من الصحة، وإن ذكرها للشيخ عبد الجواد الشربتي في كتاب «درر الأصداف في مناقب الأشراف»، والجمل في حاشية البهزنية، والمسيد الشبلنجي في كتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» غير أنه بعد أن ذكرها، عقب عليها بمؤله: لكن المشهور بهذه الكرامة سيدي علي الرفاعي الشهير بأبي شيك^(١) الذي بمسجد ذخيرة الملك، يسوق السلاح، تجاه مدرسة السلطان حسن، ولقائل أن يقول: لا مانع من وقوعها لهما أ. هـ. ونجزم بأن مفتعلها تحمل وزراً كبيراً يشبها به مقعداً في نار جهنم^(٢)، ويأت ذلك من وجود:

(١) قال الشيخ سيد الشبلنجي يرمي وقوع القصة للشيخ علي الرفاعي، بمعنى هذا أن القصة ليس حقة على نوعها للشيخ أحمد الرفاعي، ونجزمه وقوعها لهما معاً بعد، جداً والقصة على كثرة الخلقين باطل.

(٢) لتحدث التواتر من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في جهنم.

الأول : نقرر في علم الأصول : أن الخبر إذا كان متوقفاً بالدواعي على نقله بالتواتر، ثم نقل بطريق الآحاد، فهو مقطوع بكذبه، ومثل أهل الأصول لذلك، يستعمل الخطيب عن الخبر يوم الجمعة، فإن هذا الحادث لو حصل، يستدعي أن يخبر به جميع من كانوا في المسجد، فإذا انفرد به ثلاثة منهم، أو أربعة، أو عشرة، قطعنا بأنه مكذوب، وقطعنا بأنهم اختلقوه، أو اختلقه أحدهم ووافقهم بقولهم، ونحن إذا تأملنا تلك القصة، وجدناها محكي خروج اليد الشريفة، من القبر المكرم، أمام جمع يقرب من تسعين ألف رجل، وأن الغرباء أتوا كناد يحيد من الله هشة، وكادت قيامة الناس تقوم، وقام الفرح وبقيت، بتكبير الناس وصلاتهم على النبي ﷺ، وهذا حادث عظيم، خارق للعادة، شهد به عدد كبير من الحجاج، من مختلف الأقطار الإسلامية، فكان الواجب أن يتحدثوا عنه، فيسفيهم حمجازيون ومثليون ومصريون أنهم شاهدوه، وكذلك غيرهم من الفارسيين والمغربيين والسودانيين والهنديين والأتراك والأكراد وخلافهم، وأن يسجل في تواريخ المدينة المنورة، لكن لا نجد له ذكراً في كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ولا في اختصاره، خلاصة الوفا، ولا في غيرهما من تواريخها، ولم يذكره السيد عبد القادر الجيلاني في كتبه، ولا في شروحه، ولم يذكره الشيرازي في التطبيقات، مع حرصه على ذكر ما هو أكمل منه.

وإنما تحدث به أولئك الأشخاص فقط : عراقيان وشاميان فهذا دليل قاطع على أنه حادث متعجب، والذي عنده منه حسناً وزرعه، السيد روايته إلى ثلاثة شيوخ أجلاء هم : عبد القادر الجيلاني، وعبد بن مسافر، وحياة بن فيس الشيرازي، وهؤلاء من كبار الأولياء، فنسبة القصة إلى روايتهم، تحمل الناس على تصديقها، واعتقاد حقيقتها، لكنهم لم يروا هذا الحادث، ولم يتحدثوا عنه، لأنه لم يقع، ولو وقع لكان غيرهم ممن شاهدوه، أسرع منهم بالحديث عنه، فإن هذا الحادث في غربته، وعظم شأنه، يتسابق من يشاهده إلى إشاعته، خصوصاً الحجاج^(١)، فإنهم يتحدثون عما شاهدوه في الحجاز من الأمور المعتادة، فكيف نسوا أن يتحدثوا عن هذا الأمر الجلل؟

وقد وقع حادث شبه بهذا، تحدث عنه من شهدوه وكتبوه، قال تقي الدين المقرئ في كتاب : إغاثة الأمة بكشف الغمة :

ما نصه :

حكاية الثور الذي نطق

وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبة في غاية الغرابة، لم يسمع بمثله، وهي أن رجلاً من

(١) شاهدنا كثيراً من الحجاج ضلوا يتحدثون عما شاهدوه في حجهم، بقية حياتهم.

أهل القلج، بحسبة عال، إحدى قرى دمشق، خرج بشور له، لسرد الماء، فإذا عدة من الفلاحين، قد وردوا الماء، فأورد الشوز، حتى إذا اكتفى، نطق بلسان قصيخ، أسمع من بالمورد، وقال: الحمد لله، والشكر له، إن الله وعد هذه الأمة، سبع سنين مجدية، فشفيع لهم النبي ﷺ، وأن الرسول أمره أن يبلغ ذلك، وأنه قال: يا رسول الله قمأ علامة صدقي عندهم؟ قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وفيه بعد فراغ كلامه، صعد إلى مكان مرتفع، وسقط منه وصات، فتسمع به أهل القرية، وجاءوا من كل حدب ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه لتقبره، فكانوا إذا يخبروا به موعو كفاً برى، وعمل بذلك محضر مشبوت^(١)، على قاضي البلد، وحمل إلى السلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء، واشتهر بين الناس خبره، وشاع ذكره، وذاكر هذا الحادث، أيضاً في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك.

هذا حادث وقع في قرية من ريف دمشق، حضره عدة من الفلاحين، لا يتجاوزون مائة، ومع ذلك عمل به محضر عند القاضي، وحمل إلى السلطان بمصر، وسجله المؤرخ المقرئ في كتابين من كتبه.

فكيف لم يسجل حادث الشيخ الرفاعي وهو أعزب من هذا الحادث وأعجب؟ وأرفع منه وأشرف؟! يضاف إلى ذلك أنه وقع في المدينة المنورة، قبة الإسلام، وفي مسجدها النبوي، ثاني الحرمين، أمام عدة آلاف من المسلمين، حضروا من مختلف بقاع الأرض.

الوجه الثاني: أن رواية القصة لم يتفقوا على سياقها، بل اختلفوا فيه اختلافاً يقضي بطلانها، فبينما يقول عز الدين القاروطي عن الشيخ أحمد بن الرفاعي: وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقال عني رعي الأشهداء: السلام عليك يا جدي، فقال له النبي ﷺ: وعليك السلام يا ودي، سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، وإذا بالشيخ عدي بن مسافر وتلميذه علي بن موهوب يقولان: كان الشيخ أحمد الرفاعي واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات، ضيظها عنه جماعة - يقصدان بيئتي الشعر - فما أتم كلامه إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبضها ونحن ننظر مع الحاضرين، فلم يذكرنا كلام النبي ﷺ، وقد سمعنا كل من في المسجد النبوي! وهو لا يقل غرابة وعجيباً عن خروج اليد الشريفة من القبر، بل هو الذي شجع الشيخ الرفاعي على إنشاء البيتين، فكيف سكتا عنه؟ لا تعليل لذلك إلا أن صانع القصة لم يحسن سبكها، فنسي أن

(١) كذا، والصواب: ثبت بضم الميم وفتح الباء، لأنه من أنبت، أما ثبت التلافي فلازم.

ينسب إلى روايتها لفظاً واحداً يتفقون عليه، وأمثلي يقول: إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً، ويجوز أن يقال: كان المقاروني تلميذاً للشيخ الرفاعي، يهيمه إثبات النسبة النبوية له، فلذلك سمع سلام شيخه، ورد النبي ﷺ بما يثبت نسبه، بخلاف الشيخ عذري وخادمه، فليهما تلميذين لرفاعي، ولا يعنيهما ثبوت النسب له، فلم يسمعا تلك الحادثة التي سمعها كل من في المسجد النبوي!!

الوجه الثالث: أن الشيخ أحمد بن الرفاعي ... رضي الله عنه ... منسوب إلى بني رفاع، قبيلة من العرب، كما في طبقات الشعرائي: فكيف يقول: السلام عليك يا جدي؟ وهو لم يدع الانتساب إلى الحسين ولا الحسن عليهما السلام، وخاله الشيخ منصور البطانجي ... وهو من الأولياء ... لم يكن يدعو إلا بلفظ أحمد، مسجداً عن السيادة، مع أن الأولياء أحرص الناس على تعظيم أهل البيت وتسميتهم، من غير مراعاة للقرابة أو غيرها، كما هو معلوم من أخلاقهم وآدابهم.

والحقيقة أن الرفاعي ... رضي الله عنه ... لم يثبت له الشرف إلا بعد موته بمدة، حين ظهرت فكرة الأقطاب الأربعة، وكان هو أحدهم، وعز علي بعض أتباعه ألا يكون شريفاً مثل إخوانه الأقطاب الثلاثة: الخميني والبندي والديسوقي، فأنشأ له نسباً يتصل بالحسين ... عليه السلام - لكن أبا الهادي الصيادي الرفاعي لم يكتف بهذا، بل أنشأ له نسباً أيضاً يتصل بالحسن - عليه السلام - وبذلك صار الشيخ الرفاعي حسيماً حسناً، وأماز على زملائه بالجمع بين الشريفين!

الوجه الرابع: ولو كان الشيخ الرفاعي حسيماً فإنه لا يقول تلك الكلمة لأسباب:

أخذها: أن الأدب المطلوب في الزيارة النبوية أن يقف الزائر في المواجهة الشريفة بخشوع، ويقول: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأدنت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاد، إلى آخر ما هو متداول في كتب الفقه، والشيخ الرفاعي ما كان يجهل هذا الأدب، وما كان ليذعه، لأنه من كمل الأولياء الحريصين على اتباع آداب الشريعة.

ثانيها: أن الشيخ الرفاعي كان متواضعاً شديداً التواضع، يحجب الحسول، وعدم الظهور، وطريقة مبنية على التواضع، فكيف يقول علي رعون الأشهاد: السلام عليك يا جدي؟ وهل هذا إلا تفاخر بالنسب؟ وما كان التفاخر من خلق الرفاعي، ولا حب

الظهور في طبعه .

ثالثها : أن الأدب المرأى بين الأولياء بعضهم مع بعض إذا اجتمعوا : ألا يتقدم صغير منهم على كبير ، تقول النبي ﷺ و كبير كبيره ، أى قدم الكبير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تقدم الشيخ الرفاعى بتلك الكلمة ، مع وجود السيد عبد القادر الجيلانى ، وهو أكبر منه سناً ، وأجل مقاماً ، وأكثر علماً وإتقاناً ؟ هذا إلى أن الجيلانى حسنى ، والرفاعى حسينى ، والعارف الشجرانى يقول عن تواضعه وفرط أدبه : ما تصدر قط في مجلس ، ولا جلس على سجادة ، تواضعاً . هـ .

وأيضاً : فإن الله تعالى يقول ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ بَعْضًا كَمَا يَدْعَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] ، أى لا تنادوه ، كما ينادى بعضكم بعضاً باسمه أو لقبه : يا فلان أو يا أبا فلان ، ولكن عظموه ونادوه : يا نبي الله يا رسول الله ، ونحو ذلك من ألقاب التعظيم ، وكلمة يا جدى أو يا أبى لا تعظم فيها ، بل من الآداب العامة أن الشخص إذا كان أبوه خفيضة أو ملكاً ، فإنه يحاط به أمام الناس بلقب التعظيم نحو يا أمير المؤمنين ، يا أبا المنان ، ولا يقول : يا أبى .

وأيضاً : فإن مواقف أمام الشجرة الشريفة ، يعتبر من هيئة المكان ، وجلال الموقف ، ما ينسبه نفسه وشرفه وعلمه ، فلا يمكنه أن يقول : يا جدى ، أو يا أبى ، وإنما يهتف بشوق يا رسول الله ، يا شفيع المؤمنين ، يا نبي الرحمة ، يا حبيب رب العالمين ، جئت أطلب شفاعتك ، وأرجو رفدك .

وأيضاً : فإن التصوفية قالوا : ينبغي لمن يدخل على ولي من أولياء الله تعالى أن يتجرد من علمه وشرفه وعمله ، منتظراً ما يفيضه الله عليه ، بطريقة ذلك الولي .

وحكوا : أن أبا الحسن الشاذلي ، لما أراد الدخول على مسولاي عيسى السلام بن مشيش ^(١) ، اغتسل ونوى التجرد من علمه وعمله وشرفه فحصل له الفتح الكبير على يد

(١) عبد السلام بن مشيش ، من كبار الأقطاب مدفون بجبل العنم من قبيلة بنى عروس بمراكش ، زرت قبره ، وهو في أعلى الجبل ، يقام له مؤنة ... عمرة بلهجة ثغارية ... في النصف من شعبان ، وهو غير سيدى عبد السلام إلا سمى المدفون بقرطيس الغرب ، وبالقرب من قبر ابن مشيش حجران كبيران متقابلان بينهما فجوة طبيعية في داخلها انحراف وتمازيج ، يمكن الدخول فيها والخروج منها بشئ من الخيلة والمرونة ، والعمامة هناك يستمدون أن من دخل في تلك الفجوة وكان مريضاً عنت والديه خرج منها ، ومن كان مسخوط والديه أى عاقاً لها تسك فيه تلك الفجوة فلا يخرج بسهولة ، وترى الزوار يهرعون إلى ذبلك »

شيوخه المذكور ... رضى الله عنهما - وإذا كان هذا بالنسبة لولى من الأولياء، كيفما كانت رتبته في الولاية، فهل يجوز لأئمة سيد المرسلين وأفضل الخلق أن يذكر علمه أو شرعه؟

وأيضاً فإن الكمل من الأولياء، حين يدخلون المسجد النبوي، لا يتقدمون لزيارة لروضة الشريفة، إلا بإذن خاص من النبي ﷺ، روي عن العلامة الشيخ الخطيب شيخ المالكية في وقته: أنه حج مع شيخه القطب الشيخ عبد المعطي التونسي، قال: فلما وصلنا إلى المسجد النبوي، ودخلنا الباب، صار الشيخ يتقدم خطوة، ويقف: ثم يتقدم خطوة، ويقف، وهكذا حتى وصلنا إلى الحجرة الشريفة، فلما انتهينا من الزيارة سألناه عن سبب توقفه مرة بعد مرة، فقال: كنت أطلب الأذن من النبي ﷺ بالقدوم عليه، فإذا قال: تقدم يا عبد المعطي، تقدمت.

حكاية عن الرفاعي باطلة

ثم ذكرت الرسالة قصة أخرى شبيهة بهذه.

إليك نصها: وقد ثبت أن السيد أحمد ... رضى الله عنه ... لما حج ثانياً في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطيب الطاهر، على ما كنهه أفضل صلوات الله وسلامه، قال ... وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنه:

إن قــــــــــــــمــــــــــــي زرتم بما رجـــــــــــــــستم؟

يا أكرم المرسلين ما نقــــــــــــول؟

فظهر صوت من القبر الشريف، سمعه كل من في المسجد المبارك:

قــــــــــــولوا رجــــــــــــعنا بكــــــــــــلى خــــــــــــبــــــــــــر

واجــــــــــــتــــــــــــمــــــــــــع القــــــــــــســــــــــــســــــــــــوع والأهــــــــــــســــــــــــول

وهذه القصة مقطوعة بكذبها أيضاً، مثل سابقتها، لأنها لو حصلت، لأخبر بها كل من كان في المسجد النبوي، وهم الكوف، لأن الوقت كان موسم حج.

« المحجرين بمسجون أنفسهم بالدخول بينهما، فمن خرج بسهولة فخرج، لأنه مرضى عند والديه، ومن لم يعرف كيف يخرج ساعده الزوار بقراءة القرآن والتوسلات، ويجده حتى يخرج من بين المحجرين حزيناً خجلاً، لأنه عرف بين الناس بأنه مسجون والديه، وهذه خرافة، لا أصل لها.

وما يدل على كذبها أيضاً: حال النبي ﷺ، بالنسبة لقول الشعر، فإنه لم ينشئ في حياته بيت شعر غير الرجز^(١)، وما تمثل بيت شعر كامل موزون، وإنما كان يتمثل بشطر بيت فقط، مثل: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

ومثل: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وكان يتمثل أحياناً بشطر بيت مكسور، تمثل مرة بقول القائل:

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً.

فقال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الشاعر يقول:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً.

فأعاده ﷺ مكسوراً كما نطق به أول مرة، فقال أبو بكر: رضي الله عنه... صدق الله ﷻ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﷻ [يس: ٦٩]، فكيف تزعم تلك القصة الكذوبة أنه ﷺ، أمثلاً بيت شعر تام الشاعري، أجاب به الشيخ الرفاعي مساجلة!! والدعيب: إن يقدم الفروع على الأصول، حرصاً على الثقافية لكيلا تختل!! مع مراعاة لزوم سائلا يلزم!! كانه ﷺ، كان يباشر فنون الشعر، كما يباشرها فحول الشعراء.

نعم، ثبت أن النبي ﷺ، كلم قوماً بلغتهم التي لا يعرفها قريش ومعظم الصحابة، وتلك معجزة من معجزاته الكثيرة، لأن اختلاف اللغات، من آيات الله تعالى.

كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ومعرفة اللغات، علم من العلوم التي أنعم الله بها على نبيه، حيث قال له: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

لا يصح خطاب النبي - عليه الصلاة والسلام - بكلام فيه لحن:

أما الشعر فقد نزه الله عنه نبيه بقوله تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، وذم الشعراء بقوله سبحانه ﷻ والشعراء

(١) أما الرجز الذي قاله: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، هل أنت إلا أصمعي دمي، وفي سبيل الله ما لفيتي، لقد جاء عقو الطبيعة، لم يقصده، كما يقصد الشاعر إنشاء بيت مراعباً تقاعيفه، على أن بعض اللغويين - لعنه الألفيش... يرى أن الرجز ليس بشعر.

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، وفقد وفد عليه ﷺ شعراء، وأنشئوا بين يديه شعراء، فلم يجيبهم بيت، بل كان ينسب المادحين، ويكلف حسانه بين ثابت بدم الداميين، وجماعة القهقريين، فليس قول الشعر سمجة، ولا مكرمة، بالنسبة له ﷺ (١).

ثم إن البيت الذي نسبته القصة إلى الشيخ الرفاعي - رضي الله عنه - يشتمل على لحن في الإعراب، وشذوذه في التعبير، فلا يصح أن يخاطب به أفصح الخلق ﷺ، لأنه يؤله ويؤذيه، ذلك أن العربي الفصيح يؤدي شعوره، ويؤلم طبعه أن يسمع كلاماً دخله لحن في الإعراب، أو خلل في التركيب، ولهذا كان صمر - رضي الله عنه - يملو بالشذوذه من ينحرف في الكلام، ويحذف على تعلم الإعراب (٢).

وذلك البيت المنسوب إلى الرفاعي يقول:

إن قبلي زرتهم بما رجعتهم؟

أسقط لقاء الرابطة بين الشرط والجواب، فلم يقل: فيما رجعتهم؟ وهذا لحن، ثم أثبت الألف في ما الاستغماية، في قوله: بما رجعتهم؟ والصواب: بم رجعتهم؟ لأن ما الاستغماية إذا دخلت عليها باء الجر، حذف الفها، نحو ﴿فِيمَ تَسْتَرْوْنَ﴾ [الحجر: ٥٤]، ولا تثبت إلا شذوذاً على قلة، كما نص عليه المصنف في سورة الاعراف، من تفسيره، والظاهر أن الذي صنع القصة كان يجهل قواعد علم العربية، فوقع في هذين الخطأين، وكان يحكمه تخنيسهما بأن يقول:

إن قبلي زرتهم فما استفدتهم؟

ثم تأمل قوله: واجتمع أنفروع والأصول تحذه حريصاً على إثبات الشرف للرفاعي، كما أثبت له الشرف أيضاً في القصة السابقة، بجملة: وعليك السلام يا ولدي، وهذا هو المقصود من القصتين، ولولا ذلك لما نسب إلى النبي ﷺ قول الشعراء، أو لا يمكنه إذ (١) بل كان أعظماء يتفرون منه، ويعذونه منقصه الأثر، بل قول الإمام الشافعي:

ولولا أنشدوا بالعلماء يذري

لكنت ثاراً من ثار من ثار

وكان رعب بن منبه يكره التعلق بالشعر، ويقول:

إني أكره أن يوجد في صحيفتي يوم القيامة شعر.

(٢) كثيراً ما كنت ألتزم حين أسمع خطباء الجمعة يقولون: وهذا طعمنا طاهر بين يديك، وهو من الفجر الموضح الذي يدركه من اتقن باب الخلق في الآخرة وفي القرآن الكريم ﴿وَقُلْنَا بَعْلِي شَيْخاً﴾ [مؤد:

نسيه إليه أن يقول :

قسسولوا رجس عنا بكل خـ

ونار منا العسسقــــــــــــــــسول والسلسوب

ويؤيد ذلك قوله - بعد التبيين السابقين - على لسان مؤلف الرسالة : وأنذى أدين الله تعالى به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف القاطمي الحسيني - رضي الله عنه - كان جبلاً راسخاً، وبطلاً ججاجاً... إلخ، فاقبحام عبارة: الشريف القاطمي الحسيني هنا، لا معنى لها إلا الحرص على إثبات الشرف للشيوخ الرفاعي - رضي الله عنه - لأن كونه جبلاً راسخاً وبطلاً ججاجاً، لا يتوقف على كونه شريعاً فاطمياً حسينياً، فقد كان في التصوفية جبلاً رواسخ، وبطلاً ججاج، وهم لا ينتسبون إلى أهل البيت النبوي، كسيد الطائفة الجنيد، وأبي بكر الشبلي، وأبي القاسم القشيري، وأبي يعزى، وأبي مسد بن الغوث، وأبن العربي الحائمي، وأبي العباس المرسى، وأبن عطاء الله - رضي الله عنهم -

الفصل الثاني

في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتم إلى الحافظ السيوطي

اعلم أن كثيراً من المؤلفات نسبت إلى غير مؤلفيها، على سبيل الخطأ.
منها: كتاب الكنز المذفون والفتك المشحون، طبع مرات، منسوباً للحافظ السيوطي،
لكنه تأليف الشيخ يونس السيوطي المالكي، تلميذ الحافظ الذهبي.
ومنها: كتاب الرحمة في الطلب والحكمة طبع عدة مرات، منسوباً للسيوطي أيضاً.
وهو تأليف الحكيم المقرئ مهدي المصري. وهذا الكتاب تتبعه بالتجربة صاحبنا المرحوم
الشيخ محمد بن الأزرق الغماري الصديقي، فجرب ما ذكر فيه من الأدوية والوصفات
من أوله إلى آخره، فلم يصح منه إلا وصف شربة واحدة.
وعنها: مختصر تذكرة النقرطبي طبع مرات، منسوباً للشعراني. مع أن مؤلفه قرغ من
تأليفه، وعصر الشعراني ست سنوات.
وعنها: كتاب في تفسير الأحلام، طبع مرات، بهامش الجزء الأول من كتاب تعظيم
الأنام للشافعي، منسوباً لابن سيرين، لكنه لأبي سعيد الواعظ، ولو ذهبنا تعد الكتب
التي نسبت إلى غير أصحابها، لطال بنا الخاف.
ورسالة الشرف المحتم، نسبت إلى الحافظ السيوطي. إما غلطاً وإما عمداً. لا نجزم بأحد
الاحتمالين، لكننا نجزم بأنها ليست له، والدليل على ذلك أمور:
الأول: أنه ذكر مؤلفاته في كتاب حسن الخاضرة، وفي فهرسته. وهذه الرسالة غير
موجودة فيهما.

الثاني: عزو الحديث في أولها لأبي نعيم، وهو في الصحيح. وهذه غلطة لا تقع في
رسالة صغيرة؛ أتشت لموضوع معين، إلا من مؤلف لا يعرف الحديث. على أن الحافظ
السيوطي عودنا في رسائله الصغيرة أن يفتتحها بذكر ما في الصحيحين أو أحدهما.
نعم قد يعزو الحافظ ابن حجر أو الحافظ السيوطي حديثاً إلى غير الصحيحين، وهو فيهما
أو في أحدهما. إذا كان ذلك في مؤلف كبير، يشعب فيه البحث. ويتبع الكلام. أما
أما أن ينسب رسالة صغيرة، لبحث خاص، ثم يخط في عزو الحديث، فهذا لم يحصل.
الثالث: الخلاف المذكور في ثبوت انصحة الشيخ الرعاي رضي الله عنه، لا يصدر

من الحفاظ السبوطي، لمناقضته كلامه في تعريف الصحابي في تدريس الراوي وغيره. وإنما يصدر من رجل لا يعرف في علم الحديث مثقال ذرة.

الرابع: أن الرفاعي رأى اليد الشريفة - على فرض ثبوت تلك القصة المكدوبة - ولم يقل أحد من علماء الحديث: أن الصحبة ثبتت بمجرد رؤية اليد. بل هم نفوا الصحبة عن رآه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته، قبل دله إذا لم يكن رآه في خيال الحياة. فكيف يحكي السبوطي خلافاً لم يحصل؟ لم ما وجه تخصيص الرفاعي بالخلاف؟ مع أن تلك القصة المكدوبة تحكي أن اليد الشريفة، رآها كل من في المسجد النبوي. فإن كانت الصحبة تثبت بهذا، فلو أنك جميعهم صحابة، لا خصوص الرفاعي.

الخامس: نقله عن الحفاظ السخاوي، وينسبهما تناقض كبير، وخصومة شديدة. فالسخاوي ترجم للسبوطي في الضوء اللامع، وحط عليه كثيراً، حتى وصفه بعقوب واندنه، لتكسره عليها. وأنه سطا على المكتبة المحمودية، وأخذ منها مؤلفات، أحدث فيها تغييراً يسيراً، ونسبها إلى نفسه. والسبوطي كتب رسالة سماها (الشهاب للهاوي في كيد السخاوي) (١) حط عليه فيها كثيراً، ووصفه بالجهل بعلم العربية، وكثرة النحن. كما حط عليه في رسالة أنفها في نغص خصم (٢)، وهي في سخاوي.

وقال في المقامة السندسية، يخاطبه:

قل للسبخاوي إن تعسروك مشككة

علمي كسبحر من الأمسواج ملنظم

والحفاظ الذي (٣) غسيت الوجود فسبح

غسرفسا من البسبحر أو رشفاً عن الديم

(١) ويقتصر للسخاوي بعض الأدياء المعاصرين له برسالة سماها: المنتقد للوذعي عفى الجهد المذعي.

(٢) لفظ خصم يعني مقصور. وقع في اشتغال للقاضي عياض، وضيقة السخاوي بسكون الرءاء على أنه مشي، فرد عليه السبوطي.

(٣) الحفاظ عثمان أتبع بكسر الدال وفتح اللام، وقفت على نسخة من شرح نخبة الفكر، بخطه ذكر أنه نقله عن مؤلف الحفاظ ابن حجر. وهذا الشرح مطبوع، وهو مدفون قرب جامع ببيروت، بجهة الأزهر، وأحق أن أتبع السبوطي لا يبلغان رتبة السخاوي في الإنقاذ والتقصي، ولا في علم الرجال والتاريخ، لأنه لازم للحفاظ ابن حجر أكثر من عشرين سنة، وقرأ عليه كتب الحديث والرجال. والسبوطي ثم يدرك الحفاظ، لكنه يخرج في علم الحديث بكتبه. ولم يتيسر له سماع الكتب الحديثة، فربما بالإجازة. وقد عثر السبوطي على السخاوي، وإن كان هو في المتن أحفظ من السخاوي. ولا شك أن المكتبة المحمودية كان لها أكبر فضل على السبوطي، فبمقتاسها صال وجال، في ميادين العلوم التي كتب فيها، ولم يشك أنه أخذ كتاباً لغيره ونسبه إلى نفسه، إلا كتاباً واحداً مطبوعاً. ذكر لي شقيق الحفاظ أبو

فكيف يتقبل السيسوطي عن شخص يختاطبه بهذا الشعور؟ ومع هذا يؤخذ في المكتشات: كتاب مطبوع، يسبب السيسوطي - اسمه (أخرز المنيع من القول البديع) وهو مختصر كتاب «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفييع» للحفاظ السخاوي، وذلك المختصر ليس من مؤلفات الخلفاء السيسوطي.

السابع: نقله عن الفراء، والسيسوطي يعلم أن الفراء نحوي لغوي، لا صلة له بالحدیث وعلومه. وأظنه لا يجهل أن الفراء معتزلي، لا يعتقد الكرامات، ولا يعترف بالصوفية.

الثامن: استعماله في رواية القصة: حدثنا. والسيسوطي لا يمكن أن يستعمل هذه اللفظة في الإجازة، لأنها كذب، وهو ثقة.

الثامن: أن السيسوطي نقل هذه القصة في تنوير الخلق، بإمكان رؤية النبي والمثلث، عن بعض المجاميع. ولو كانت عنده مروية، لأسندها هناك. ولم ينقلها عن بعض المجاميع التي يعلم هو قبل غيره أن العلماء قرروا عدم الاعتماد على ما فيها، للجهل بمؤلفها. وأن الاعتماد إنما يكون على كتاب عرف مؤلفه بالعلم والأسانة والثقة.

التاسع: قوله: وإنكار هذه المزية ومثلها، يؤدي إلى سوء الخاتمة. وذهن يحزم أن يحافظ السيسوطي لا يقول هذه العبارة أبداً، وإنما يقولها متصوف جاهل. لأن من المعلوم أن المعتزلة وبعض الأشعرية أنكروا الكرامات جملة. بل أكرر بعض المعتزلة معجزة انشقاق القمر، وأروا قوله تعالى ﴿أَفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقَى الْقَمَرَ (١)﴾ [القمر: ١] على معجاز الأول (١). ولا يستطيع عالم أن يزعم أن هؤلاء أو أولئك عاتوا على سوء الخاتمة.

العاشر: قوله: والذي أدبني الله تعالى به: أن السيد أحمد بن الرفاعي كان جيبلاً راسخاً، إلخ. وهذه الكلمة لا يقولها الخافض السيسوطي، الإمام في علوم البلاغة، وإنما يقولها جاهل لا يعرف مواقع الكلام. إذ الواجب في هذا الموضع أن يقال: والذي أراد.

لأن كون السيد أحمد الرفاعي جيبلاً راسخاً، محل نظر، ومجال رأي. فمن ثبت عنده ذلك بقرائن وشواهد، رآه واعتقده. ومن لم يثبت عنده، وأنكر ولاية الشيخ

الفيض رحمه الله أنه رأى كتاباً في موضوعه يلاحظه ويمناه لعالم مشهور من القرن الثامن. قال: وتعميت حين رأيت كيف حصل هذا من الخافض السيسوطي؟ وأذكر لي اسم الكتاب ومؤلفه. وقد اجتلاه الله بآبني طوله، الدمشقي أثار على كثير من كتبه فائدة هامة، منها: ... إلخ.

(١) يقتضيه الهمزة وسكون الواو، أي المثال أي مسؤول إلى الانشقاق في آخر الإيمان. وهذا كقوله ﴿إني أراهم أنصبر خفراً﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عصر عينا يؤل إلى صبر.

الرفاعي أو نكر وجوده من أصله؛ لم ينقص دينه. وقد نقل الحافظ أبو أحمد ابن عدي أن الإمام مالكا أنكر وجود أويس^(١) القرني، مع أن الحديث فيه، ثابت في صحيح مسلم. فلم ينقص إنكاره إمامته. وإنما تستعمل تلك الكلمة، فيما يتصل بعقيدة دينية، كأن يقال: الذي أدين الله به أن مسافات المعاني ثابتة، أو أن خروج العصاة من النار بالشفاعاة ثابت، أو أن المعاد الجسماني حق، وما أشبه هذا من المسائل التي لها صلة وثيقة بعقيدة المسلم. فهذه الأمور وغيرها، جزئنا بأن رسالة الشرف المحتم، ليست للحافظ السيوطي. والذي يظهر لي في شأنها أحد أمرين:

١ - إما أن يكون كتبها أحد المتصوفة من أهل القرون المتأخرة، وحيث كان مجهول الاسم والشخصية، نسبت إلى السيوطي، كما نسبت إليه المؤلفات المذكورة فيما مر.

٢ - وإما أن يكون أبو الهدي الثعالبي شيخ الطريقة الرفاعية، كتبها هو أو بعض أصدقائه، ونسبها إلى السيوطي ضماناً لروايتها.

فقد أخبرني شقيقنا الحافظ أبو الفتح رحمه الله تعالى: أن أبا الهدي المذكور، كان له جماعة أصدقاء، يكشرون له مؤلفات في مناقب الشيخ الرفاعي وكراماته وفضائله، ثم ينسبونها لعلماء في القرن الثامن أو التاسع. ومكنه اتصاله بالسلطان عبد الحميد، واستحوذه على عقله، من وضع تلك المؤلفات في مكتبات الآستانة. ثم يوزع إلى بعض أتباعه في الطريق بأن يطبع بعضها، ويخبره بأن نسخة خطية منه توجد في مكتبة كذا، تحت رقم كذا. وكان يقول: إنه من نسل الشيخ الرفاعي رضي الله عنه. وكان على جانب كبير من الذكاء وسعة الخيلة. وأنا أحيل إلى هذا الاحتمال، والقرائن عليه كثيرة من تصرفاته. من ذلك أنه جمع أربعين حديثاً مسندة، نسبها لرواية الشيخ أحمد الرفاعي، قراتها وهي مطبوعة. وفيها حديث (وأدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو حديث شديد الضعف. والشيخ الرفاعي لم يكتب هذه الأربعين، ولا رواها. ولا نجد لها ذكرًا في مرويات الحديث أو التصوفية. ولا في كتب الإنبات والمفسر، والله سبحانه ولعاني أعلم.

(١) هو خير التابعين كما صرح به الحديث، أي لأفضلهم. وقال الإمام أحمد: أفضل التابعين سمعة بن المسيب. قال الحافظ العراقي: نزل الحديث ثم يصل الإمام أحمد أو لم يصلح عنده. وقال النووي: أفضل أويس، بسند زهده وخشيته لله، وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه. وقول: أفضل التابعين الحسن البصري. وقيل: حفصة بنت سيرين. قال بعض العلماء: لا شك أن الأفضلية على الإطلاق لأويس، اتباعاً للنص. وبالعلم النافع سعيد بن المسيب.

الباب الثاني

في التنبيه على كرامات غير مقبولة ولا معقولة

ما ذكر في مناقب سفيان بن عيينة

منها: أنه حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين.

وهذا غير معقول؛ فإن الطفل يفتطم من الرضاع وهو ابن سنتين. قال الله تعالى ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الاحقاف: ١٥]، أي ستة أشهر للحمل، وعامان للرضاع. كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ثم يتعلم النطق والمشى في عامين أيضاً. فهل كان سفيان يحفظ القرآن وهو يتعلم الكلام؟! بل أقل من يمكن للنسبي أن يحفظ فيه القرآن تسع سنوات. نعم. كان علماء الحديث، يحضرون أطفالهم في سن الرابعة أو الخامسة مجاناً في مساجد الحديث. التماساً للبركة، وطلباً لعلو الإستاذ.

وذكر الشعرائي في ترجمة سيدي محمد وفا الشاذلي

أنه ألف كتباً في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر، وهذا غير معقول أيضاً. لا سيما إذا علمت أن سيدي محمد وفا كان أمياً، لا يعرف ولا يكتب.

ومنها: ما ذكر في مناقب السيد عبدالقادر الجيلاني

نفلاً عن والدته، قالت: لما وضعت ولدي عبدالقادر، كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان. ولقد غم على الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني؟ فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم ثدياً. ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان. واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد لأشرف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

وذكر في مناقب أبي السعور بن أبي العشائر

أنه صام في المهد. كذلك قيل في ترجمة الشيخ إبراهيم اندسوقي: أنه كان يصوم في المهد. وصوم الرضيع غير معقول. إلا أن يكون امتنع عن الرضاع لعلة. كما قال الله تعالى

في موسى عليه السلام ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، فأنظر كيف عبر بقوله ﴿وَحَرَمْنَا﴾ لأن الرضيع لا ينسب إليه فعل، لعدمه مع فقد الإدراك. فكيف يقال: إنه صام نهار رمضان؟ إن صبح هذا، صبح ما جاء في حديث موضوع: أن يوم عاشوراء تصومه الحيوانات.

ثم إن الكرامة هي الأمر الخارق الذي يظهر على يد رجل صالح في زمن التكليف. ويكون دليلاً على تحسكه بالشرعية، وعمله بأحكامها وآدابها. والرضيع غير مكلف، ولا عاقل.

فإن قيل: ألا يصح أن يقع الخارق للطفل، ويكون إعلاماً بأنه سيكون من الأولياء؟

فالجواب: صرح العلماء بأن الخارق قد يقع للنبي قبل نبوته. وسموه إرهاباً. وذلك مثل شق صدر النبي ﷺ، وهو عند مرضعته حنيفة السعدية، وعمره ست سنوات. ومثل إطلائ الغمامة له، في طريقه إلى الشام، حين كان يتأجر لحذيفة رضي الله عنها. وحصل عند ولادته عليه الصلاة والسلام خوارق. كل ذلك للإعلام بأنه سيكون نبياً يجب الإيمان به واتباعه. والنبي كما هو مفهوم، نحوه العصمة، ويؤيده الوحى. فكان من المناسب أن يصحب ولادته أو طفولته بعض الخوارق التي تلفت نظر الناس إليه.

لا تقع الكرامة لولي في طفولته

أما الولي فلا معنى لأن يقع له في طفولته خوارق. لأنه إذا بلغ وصار ولياً فلا يجب على الناس أن يؤمنوا بولايته، ولا أن يتبعوه إلا في حدود ما تأمر به الشريعة. ثم هو ليس بمعصوم، ولا يأتيه وحى. وقد يكون الشخص في بداية أمره منغمساً في المعاصي، ثم يتوب ويستقيم، فينال الولاية. وقد يكون ولياً، ثم يحصل منه ما يوجب سلبه، فتسلب الولاية عنه، ويعود من عوام المسلمين كما كان. وأنا أعرف شخصاً دخل الخلوة^(١) ولزم الأذكار والجاهدة، حتى فتح عليه، ونال الولاية. فتعجلى الأمر، وتصدر للمشيخة، وأساء الأدب في حق شيخه. فسلب وعاد كما كان مريداً، فانسية بعض الخوارق إلى بعض الأولياء في طفولتهم، ككذب لا مسوغ له.

(١) في زاويتنا الصديقية بطنجة. ووالاه مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه برعايته في خلوته. فلما فتح عليه جاء يستأذنه في الذهاب إلى بلدة فاس. فأنبهره أن هذا أول الفتح. وأن إمامه مستأذناً لآب له من اجتيازها، فأصر على رأيه، فأذن له. فذهب وحصل له هناك أشياء مع الإخوان. وأدعى المشيخة واستأذن على منصبه شيخه. فسلب وعاد إلى طنجة، فأمر مولانا الإمام الوالد بمزاولة التجارة.

ومنها: ما حكى عن الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه

أنه كان إذا تجلّى الحق تعالى عليه بالتعظيم، يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتذركه الملقط، فيصير بجسم شيئاً فشيئاً، حتى يعود إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي، ما رجعت إليكم. هذه خرافة، لا يتقبلها عقل سليم. وأي عقل يصدق أن جسم الإنسان يتحول إلى بقعة ماء، ثم يعود إلى طبيعته؟! إن هذا محال، والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. والذين يحكون هذه المستحيلات، غير مدركين ما فيها من مناقضة لقضايا العقول، يفتحون على أنفسهم وعلى الأولياء باباً للظعن الشديد، والهزؤ المديد.

ومنها: ما حكى عن الشيخ السيد عبدالرحيم القناوي الغماري رضي الله عنه

أنه نزل يوماً في حلقته شيخ من الخمر. لا يدري الحاضرون: ما هو؟ فأتى الشيخ ساعة، ثم ارتفع للشيخ إلى السماء، فسأله عنه؟ فقال: هذا ملك، وقعت منه هفوة. فسقط عفتنا، يستشف بنا. فقيل: الله شفا عتنا فيه، فارتفع^(١).

هذه الخرافة، ضعفها الشعراني في الطبقات، حيث حكاه بصيغة التثنية. وقد ذكر في مقدمتها: أنه مثل في مسلك المحدثين. فما كان من الحكايات والأقوال صحيحاً: حكاه بصيغة الجزم. وما كان منها غير صحيح، حكاه بصيغة التثنية. لكنه لم يلتزم هذه القاعدة، إلا في عراض قليلة من طبقاته، وفي كثير منها حكى بصيغة الجزم طامات، كانت من القضايا المستحبات. وذلك لغلبة التساهل عليه، مع حب تفخيم الأولياء، وإعلاء شأنهم بين العامة.

بحث في الملائكة عليهم السلام

هذا وانقرر عند جمهور المحققين في شأن الملائكة عليهم السلام، ما يأتي:

١ - أنهم رسل، لقوله تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وهذا عموماً يشملهم جميعاً. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. من الدخلة على الملائكة للجنس، والدخلة على الناس للتبعية. ولأن الله تعالى جعل الإيمان بهم ركناً من الإيمان، مثل الرسل.

٢ - أنهم معصومون، لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٣).

(٣) قد يكون ذلك تشبيحاً، جاء من جهة السقف، يستشف به.

[التحريم: ٦]، وهذا وإن كان وارداً في خزنة جهنم، يشتملهم جميعاً. إذ كانوا كلهم مخلوقين من عنصر واحد، وهو النور. ولأنه لم يحجر ذكرهم في القرآن إلا مقروناً بذكرهم وأنشاء عليهم. وقصة هاروت وماروت غير صحيحة، كما بيناه في قصة إخرس عليه السلام.

٣ - أنهم أفضل من البشر جميعاً إلا الأنبياء عليهم السلام. وعقيدتي: أنهم أفضل من الرسل والأنبياء أيضاً إلا ثلاثة: النبي ﷺ، وإبراهيم وموسى عليهما السلام، فهؤلاء أفضل من الملائكة عليهم السلام.

إذا تقرر هذا فكيف يعقل أن يهفو ملك معصوم؟ ثم يشفع فيه ولي غير معصوم؟ وكيف علم الولي أن الله قبل شفاعته؟ إن الذين يقولون مثل هذه الحكاية، ليراعوا وثبات فرق منزلته، ينزل ملك عن رتبته. ويجب أن يعلموا أن الملائكة عباد مكرمون، كما وصفهم الله تعالى. وإن إلحاق نقص بأحد هم حرام، كإلحاقه بأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: ما حكى من الشكرامات، في مناقب السيد احمد البدوي. وقيل إن تذكر بعضها، تذكر لبدة عنه، يقتضيها المقام.

فكرة الأقطاب الأربعة لا أصل لها

لقد اشتهر في مصر، فكرة الأقطاب الأربعة، وأن السيد البدوي أحدهم. ولا ندري عسندهم في هذه الفكرة، وفي التصرفية أقطاب يقولون هؤلاء الأربعة، مثل سيدي عبد السلام بن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشاذلي^(١)، وأبي مدين الغوث وتلميذه ابن العربي الحاتمي، وسيدى عبد العزيز الدباغ، تلميذ كتاب الإبريز على تلميذه الإمام العلامة الخفيف الشيخ أحمد بن المبارك النعماني. وهذا انقلاب الدباغ طراز غريب في أقطاب الأمة

(١) قال القطيب شمس الدين محمد الخفيف رضي الله عنه: وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أعلى من مقام سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه. يسبق إن سيدي عبد القادر سقى روما عن شيخه؟ فقال: أما قوماً مضى فكان شيخاً حماداً الدهان، وأما الآن فأني أسقى من بحر بن: بحر النبوة، وبحر الفتوة، يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأما سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فسبق له من شيوخه؟ فقال: أما قوماً مضى فكان شيخاً فكان سيدي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فأني أسقى من عشرة أبحر: خمسة معاوية، وخمسة إرضية. قلت: ولا شك إن مقام سيدي عبد القادر الجيلاني. أعلى من مقام بقية الأربعة. على أن السيد البدوي لم يقطب كما يأتي بيانه.

لشمسية. فهو مع كونه أمياً، أعطي من حقائق العلوم والمعارف ما يدهش كبار العلماء والمعارفين. توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه، ولوطاً عمسه، لرأينا من علومه العجيب العجائب (١).

ثم كون السيد أحمد أبلدوى أحد الأقطاب الأربعة، ليس بصحيح. بل هو لم يبلغ درجة التقطباتية، وقد قلت هذا في بعض دروسى التى ألقيتها فى شرمساح، من إندهلية (٢).

أحمد أبلدوى، مجذوب وليس بقطب

وأضفت: أنه مجذوب فعارضنى الحاضرون، وكان كثيرهم معارضة، شيخاً أزهرياً معتر على الشيخ الإسماعيلى. ولم يكن لهم من حجة، إلا ما سماع عند الناس من كراماته ومناقبه. لكن ما أقول، يؤيده التحدث العلمى البعيد عن العاطفة والتعصب. وإليك البيان:

أما أنه لم يبلغ رتبة التقطباتية، فلأنه لم يسلك على يد شيخ مرمى. غير أنه لما كان بغاس، وعمره ست سنوات، أخذ أخوه الأكبر السيد حسن الطريق عن الشيخ تيداجليل النيسابورى، وأحضره معه إلى الشيخ، فأخذ عنه تبركا، ولا يعرف له شيخ غير هذا.

وأما أن مجذوب فذلك مستفاد من ترجمته. فقد ذكر الذين ترجموه وهم الشيخ عبد الصمد زين الدين، وتقى الدين المقرئى، والشعرانى، والحفاجى وغيرهم: أن أخاه

(١) رأيت فتاوى الخواص التى جمعها الشعرانى. ورأيت كشفاً للفرق عن وجه أسئلة الأجانب، للشعرانى أيضاً، لكن كلام الديباغ لحنى، وأجوبته نادر.

(٢) فى شهر رمضان سنة ١٣٥٧ هجرية. ولما حصل فى ذلك البلد أن أهلياً طليقاً منى درساً فى شرح قصة الإسراء والمعراج، فالتقيته، وذكرت فيه أن جبريل كان يركب البرق مع النبى ﷺ. فعارضنى ذلك الشيخ أيضاً وادعى أن جبريل كان ممسكاً بتركك. فقلت: لا، بل لا غير صحيح، وأمر على قوله، ولم يكن معى كتاب. فسألت: من يوجد فى البلد مكتبة فيها بعض كتب الحديث والتفسير؟ فأخبرنى الحاج عبد الحاق إبراهيم الأزهرى: أن المتصورة يوجد بها مكتبة البديعة، وكان الوقت ليلاً فاتفقت أن نذهب إليها صياحاً، وكان معى عظيم أزهري، فوجدت فى نفسه خيفة، وسألنى تلى أفراداً هل ثبت وأتى بما تقول؟ قلت: نعم، كما أثنى بوجوده معى، وفى الصباح ذهبنا إلى المتصورة ودخلنا المكتبة، وطلبت كتاب فصح البازى بشرح صحيح البخارى، فلوقت الحاج عبد الحاق حلى أخذت أن يشرح أنه يريد أن يركب البرق مع النبى ﷺ. فكتبه وأطلع عليه ذلك الشيخ فسكت. وقصة المعراج فيها أشياء دخيلة تحتاج إلى بحث وتحقيق.

الأكبر السيد حسن أدخله المكتبة بمكة، فمحفوظ القرآن مع ابنه الحسين. فلما حدث له حادث الولد، تغيرت أحواله. واعتزل عن الناس، ولازم القهقهة. فكان لا يكلم الناس إلا بالإنشادة. ولما ذهب إلى مطبخ، أكثر من الصياح ليلاً ونهاراً. ودخل دار شخص من علماء الأزقة، فسمعه. فدخل إلى سطح داره، وكان منزل نهاره وإيادته قائماً؛ شاخصاً بصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالخمر. وكان يمكنه الأربعمائة يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا يتنعم. ثم نزل من السطح وخرج إلى غيابة الإنشادة، فتبعه الاطفال، كما يتبعون المجاذيب. ثم لزم السطح، إلى أن مات. وكان إذا لبس عمامة أو ثوباً، لا يخلعه لغسل ولا لغسره، حتى يذوب، فيسبغ لونه له بغسره. وقد سمي بالسطوحى؛ لظروبه سطح دار ابن شحيط، وسمي أصحابه بالسطوحيين. وهذه الأحوال، تؤكد أنه مجذوب^(١). لأن القطب لا يصيح، فضلاً عن أن يكسر الصياح؛ ولا يلزم سطح دار، ولا يمكنه الأيام والليالي ينتظر إلى السماء. بل هو يحافظ على الصلاة في وقتها، مع حضور الجماعة والجمعة. ويستحم ويغسل ثيابه إذا انسخت، ويلبس الثياب النظيفة. وإذا نزل ضيفاً على شخص، لا يمكنه عنده أكثر من ثلاثة أيام، مدة الضيافة؛ ولا يتخذ بيت مضيفه مركزاً له ولا أصحابه. وإذا أراد أن يسكن ببلد، فإنه يستأجر فيه بيتاً أو يشتره. ويتقاعد من شيوخ البلد وأمثالهم، لأنهم لا يخلون من ظلم بعض الناس. وإذا أتاه واحد منهم، نصحه ورعظه برفق. هذه هي أحوال القطب الذي هو على قدم النبي ﷺ. واقراً سير الأقطاب، وكمل الأولياء. فلا نجد أحداً منهم أدخل بأحكام الشريعة أو تهاون فيها، أو اعترته حالة غاب فيها عن المشهور أياماً وليالي، أو اتخذ سطحاً مقراً له، أو احتل داراً من غير استئذان صاحبها إلى غير ذلك من أحوال المجاذيب.

بعض كرامات البدوي

ويؤيد ما قلناه؛ هذه الحادثة: جاء الشيخ محمد المسمى بقدر الزوال إلى مكة، فعلم أن السيد أحمد البدوي مريض، فدخل عليه يزوره، وكان الشيخ عبدالحق غائباً. فوجد السيد أحمد قد شرب ماء بظيخة، وثقايه فيها ثانياً؛ فآخذه الشيخ محمد المذكور وشربه، فقال له السيد البدوي: أنت قمر دولة أصحابي. فلو كان قطباً، لما مكنته من شرب النبيء. بل كان ينهاه عن شربه، ويبين له أن شرب النبيء حرام؛ لأنه نجس. لكنه

(١) ومثله في المغرب سيدي علي بن حمدوش، كان شريفاً مجتهداً. وله اتباع يعرفون بالحمدوشة، فهم زوايا في اتجاه المغرب. وفي حالة حضرة الذكر يضرعون وعوسهم بالندوات. أي السواطير.

مجدوب، يستحسن ما هو حره، غير مدرئ حرمة. ولما نقلوه من كراماته: إن الإمام
تقي الدين بن دقيق العيد قاض القضاة بالندية في العصرية^(١). سمع بالشيخ وأحواله.
فذهب إليه بطنطا واجتمع به. وقال له: يا أحمد هذا الحال الذي أنت فيه، ما هو
مشكور، فإنه مخالفت للشرع الشريف. فإليك لا يصلي^(٢)، ولا تحضر الجماعة، وما هذه
طريقة الصالحين. فالتفت إليه السيد أحمد البدوي وقال له: اسكت، وإلا أطير دققتك.
ودفعه دفعة، فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة، لا يعلم لها طول ولا عرضا.
فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها، وهو ذاهل العقل، غائب عن الصواب. ويقول: مائي
ومعارضة أولياء الله تعالى؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصار يبكي
ويستغيث، ويتهل إلى الله تعالى. فبينما هو كذلك، ظهر له رجل ذو هبة ووقار.
وسئم عليه، فرد عثية السلام. وقام إليه، وجعل يقبل يديه ورجليه. فقال له: ما
قضيتك؟ فأخبره بخبره. فقال له: لقد وقعت في أمر عظيم. أتدري كم بينك وبين
القاهرة؟ قال: لا. قال: والله بينك. وبينها سفر ستين سنة - لعله يقصد بسفر
السلسلة!! - فالرداد هما عليهما، وغما علي غمه، وكبر في قلبه اخوف. وقال: يا
تري من يختصني من هذه الورطة؟ إن الله وإن إليه راجعون. وأقبل على الرجل يقول له:
أرشدني برحمتك الله. فقال له: هون عليك الأمر، غما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله
تعالى: قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيدوه وأراه قبة كبيرة. وقال له: ترى هذه القبة؟
أذهب إليها، وأجلس فيها. فإن سيدي أحمد البدوي يصلي فيها العصر بجماعة من
الرجال. ويودعون وينصرف كل منهم إلى حال سبيله. فإذا صليت معهم، فتعلق به،
وتماق بين يديه، وقبل يديه ورجليه. واكشفت رأسك، ونادى معه. وقل له: استغفر الله
وأتوب إليه. ولا أعود لما صدر مني. فإذا رأى منك ذلك، فإنه يقبل عليك، ويردك إلى
موضعك إن شاء الله تعالى. وكان ذلك الرجل، هو الفقير عليه السلام. فذهب الشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد إلى القبة، وجلس فيها. فما كانت إلا هنيهة، حتى أقبلت
الجماعة من كل جانب ومكان. وأقيمت الصلاة، فتقدم السيد أحمد البدوي، وصلى
بهم إماما. فلما انتقضت الصلاة، تعلق به ابن دقيق العيد. وكشف رأسه، وجعل يقبل

(١) نفقه على مذهبي المالكي والشافعي، ثم بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان حافظا للعهد. لكن حياته

ياثرون أكثر من عتابه بالاسانيد، لأجل الاستباحت وعدوه في المحدثين.

(٢) تأمل هذه الجملة، وتذكر هل سمعت بأن قطيا لا يصلي؟

يذيه ورجليه . ويهكي ويستغفر ويمتذر . وأتصف من نفسه . فأقبل عليه ألفيد أحد البدوي، وقال له : ارجع عما كنت فيه، ولا تعد إلى مثله (١) .

فقال له : أسمع والطاعة يا سيدي . فدفعه دفعة لطيفة، وقال : اذهب إلى بيتك، فإن عمالك في انتظارك . فلم يشعر ابن دقيق العيد إلا وهو واقف بباب داره بمصر . فأقام مدة ببسته لا يخرج منه، لما جرى له مع السيد أحمد البدوي . حكى هذه القصة الشيخ عبد الصمد زين الدين في : أبرار السيرة، عن شمس الدين محمد المعروف بالخلعي، عن زين الدين ابن النقاش : المكنى بأبي هريرة، وهي قصة مكذوبة . والغرض من صياغتها : إمران :

١ - تعريف الناس أن السيد البدوي إذا كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة في مساجد طنطا، فإنه كان يصلي إماما بجماعة من الرجال، في جزيرة واسعة تبعد عن مصر بمسافة ستين سنة (١) .

ولعل تلك الجزيرة من جزر واق للواق . أو تقع خلف جبل فساد (١) . فلا يصح الاعتراض عليه بأنه لا يصلي، ولا يحضر الجماعة .

٢ - أن من يعترض عليه، يناله العتاب السريع . ولو كان في اعتراضه مستحسنا بالشريعة . وهذا خلاف ما صرح به الصوفية، حيث قالوا : من اعترض علي ونى لتقصيره في بعض أحكام الشرع، أو خروجه عليه . فلا يستطيع ذلك الولي إذايته، لا بدعاء عليه ولا بكرامة .

وهذا الحسين بن منصور الخلاج، لما حكى العلماء بقتله، لما صدر عنه من عبارات كفرية . وأراد أن يمتنع من تنفيذ أحكام بإظهار خارق، قال له بعض الصوفية : سلم حكم الشرع . فسلم، وقتل عفيا لله عنه . والصلوة أهم أركان الدين، سمي النبي ﷺ تاركها كافرا . وحضور الجماعة واجب، لا رخصة في تركه إلا لضرورة ملحة . جاء أعني يستأذن النبي ﷺ أن يرخص له في الصلاة في بيته، لأنه ليس له قائد، فرخص له . فلما ونى، دعاه فسأله : « هل تسمع النداء؟ » قال : نعم . قال : فأجب ! ولم يرخص له (٢) .

(١) أفدري ما كان فيه؟ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع تقوى واستقامة، والوقوف على حدود الشريعة وعدم تعديها .

(٢) وكان الربيع بن خثيم يأتي مسجد الجماعة يهادي بين رجلين لرضه . فيقول له أقناس : إن الله قد رخص لك، فيقول : فماذا أصنع في منادي ربي وهو يقول : حي على الصلاة؟

وكذلك الجماعة، فرخصت بالقرآن، وقال النبي ﷺ «من ترك ثلاث جمعيات متواليات من غير عذر طبع الله على قلبه» فكيف يصح لولي أن يترك الجماعة والجمعة^(١) بدعوى أنه يحضرها في بلد يبعد عن بلده ستين سنة؟! ثم إذا نصحه إمام مثل ابن دقيق العيد مجدد القرن السليح، يقال له: تب إلى الله ولا تعبد إلا الله؟ من النصيحة التي جعلها النبي ﷺ ديناً، حيث قال: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» والعجيب أن يظهر له الخضر عليه السلام فيمهرل عليه الأمر ويبين له عظم ما أتاه، حيث نصح السيد البدوي!!! ويشير عليه بأن يذهب إلى السيد البدوي ويتعلق بأذياله، ويكشف رأسه ويقبل يديه ورجليه!!! لأنه لم يكن يعلم أن السيد البدوي أعلى من أن تقدم له نصيحة، وأرفى من أن يرجع إليه لوم. تكن صانع القصة، لم يكن يعرف خلق الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، فقد كان عاقل الهمة، أبي النفس^(٢). تكسوه عزة الإيدين، ويعلموه وقار العلم. لا يمكن أن يتخلق لاحد، أو يقبل رجليه ولو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم كيف يأمر الخضر عليه السلام الإمام ابن دقيق العيد بالتمسك بغير الله تعالى؟! وهو - أعني الخضر عليه السلام - يعلم أن الله بعث إليه موسى عليه السلام، تكرماً له لفضل علم عنده. فكيف يصغر العلم في شخص الإمام ابن دقيق العيد وهو عالم ممتاز يقل مثله في علماء الأمة المحمدية؟! والخاصل أن في القصة تغيرات، نقضي بأن صانعها لم يتقن صياغتها. ولو فرضنا صحتها، فهي أدل دليل على أن السيد البدوي كان مجتهداً، إذ تصرح بأنه كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة، وأن حاله مخالف للشرع. وأنه أجاب الإمام ابن دقيق العيد بقوله: «سكنت وإلا أطير دقيقتك». وهذا جواب جاف، لا يصدر من شخص في حال وعيه وتعام عقله. وهكذا كلما أراد المتعالمون أن يرفعوه إلى مصاف الأقطاب، صاغوا له من الكرامات، ما يقضي بأنه من أكبر الخيالات.

(١) وكيف يترك الصلاة في مسجد يسمع نداءه، وتجب إجابته؟ ثم يصليها في مسجد لا يجب عليه الالتفات إليه، ولا يطالب بالصلاة فيه، وقد غرر العلماء أن الولي إذا كان فقيراً لا يملك الزاد والراحلة، لا يجب عليه الخيخ. ولو كان يستطيعه بطريق طي للكاف، أو الخطوة كما يقال، لأن التكليف إنما يتعلق بالأفعال المعتادة لا بالخيالات.

(٢) مما يدل على إباء نفسه وعزتها: أنه لعب مرة الشطرنج - وهو شاب حدث - مع صهره وكان من العلماء، وحضر وقت الصلاة فصلياً، وبعد انتهاء الصلاة، سأله صهره: أتلعب لكلاً؟ فأجابته: نعم، وأنت؟

وكانت تلعب لكلاً حاضرة

إن عادت للمغرب عدداً لها

فترك الشطرنج من ذلك الوقت، ولم يعد إليه.

قصة مع فاطمة بنت برى

واختلفوا له قصة مع فاطمة بنت برى بأرض العراق، ذكرها عبد الصمد زين الدين في الجواهر السنية، والخفاجي في النسخات الأحمدية. وهي قصة طويلة، فيها عبارات غير معقولة^(١) بل ذكروا في رحلته للعراق خوارق، لا يعقلها العقل. فلا أدري كيف حكاهما أو نقله فلان فلان مصدقين لها؟

وذكروا أن الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد أيضاً كلف الشيخ عبدالعزيز الديريني أن يذهب إلى السيد البدوي، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل أناس بأمره، وأعطاه مسائل يختصن بها. فأجاب عنها بأحسن جواب، وقال: هذا الجواب مسطر في كتاب الشجرة، فوجدوها في الكتاب كما قال، لكن ما هو كتاب الشجرة؟ وما موضوعه؟ وأين يوجد^(٢)؟ فعلمه يوجد في تلك الجزيرة التي دفع إليها الإمام ابن دقيق العيد؟ وزيد بعضهم في هذه الحكاية: أن الشيخ عبدالعزيز الديريني لما دخل على السيد البدوي قال له قبل أن يتكلم: سلم على قاض القضاة، وقل له: يصلح غفطا في المصحف الذي عنده معلقاً في صدر البيت، غفطة في سورة يس، وغفطة في سورة الرحمن. ولما رجع المصحف^(٣)، وجد الأمر كما قال! وذكروا أن امرأة أسر ولدها في

(١) ثم نقلها مستقلاً لما فيها من مجمع سمج، وكذب مخيف.

(٢) من أنواع علوم اللغة: كتب فيه كثير من أسماء الأشجار، كتب فيه كثير من أسماء النخلة كلها سموها بأشجار الدرهم منهم أبو الطيب عبد القادر بن عفي القنوي. قرأت كتابه بخط السيوطي. وموضوعه مدخلة الكلام لكلماتي المختلفة. مثل ألون عين الشمس، والشمس شمس الخريف، ونخل ألوم، وألوم نخل الكبر، وأنجل دابة من دواب البحر، والبحر الماء الملح، والماء الحارمة والحرة ما كان فلا تستأجر حراماً على غيره، وحرام حي من العرب، وألحى ضد الميت، ويتضرورة هذا غير مقصود في كلام السيد البدوي، كما أنه لم يقصد الكتاب لكي تشمل على شجرة النسب.

(٣) وهي من القول: أن يكون في مصحف الإمام ابن دقيق العيد غلطتان وهو المجهول الذي يستعيط الأحكام من الكتاب والسنة، ثم لا يعرف تلك الغلطتين، حتى يدايه عندهما مجذوب؟ ومثل هذه الحكاية ما يحكي عن الشيخ الأنباري: أنه كان يدرس التفسير بالآزهر، ووصل إلى قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فقرأها أذنها بهونك؟ وكتب كراسة في ترجمه هذه الجملة. ولما جاء إلى الأزهر صباحاً، قرأ المأثور الآيات، التي هي موضوع الترميم، سمعها الشيخ صاحبها فأدرك أن ما كتبه مبني على تحريف الآية ثم يعلم به إلا في تلك اللحظة! وأجل الدرس إلى اليوم التالي، فهذه الحكاية واضحة البطلان. قصدها خصوم الشيخ الأنباري التذكير عليه. كما قصد السطوحيون بطلان الحكاية لتشجيع على ابن دقيق العيد.

الحرب الصليبية، فلجأت إلي السيد البدوي، فأتاها به في قيوده. وقد اشتهرت هذه الحادثة في مصر، حتى صاروا يقولون: الله الله يا بدوي جانب اليسرى.

أي جانب الأسمري. وذكروا أنه نقل أسرى بعد وفاته أيضاً، وهو كذاب بلى ذكر بعض الناس الذين لا يتقون الله: أنهم كانوا يرون السيد البدوي يخرج من قبره، فيتلقي بيده بعض القنابل التي ألقتها الطائرات الألمانية أو الإيطالية خطأ في الحرب الأخيرة، ويضعها في مصرف، حتى لا تنفجر!! وحكايته مع ابن اللبان حول بها المتبغولون ووطنطنوا مع أنها كذب مكشوف. وحاصلها:

أن العلامة شمس الدين محمد بن اللبان، حضر من دمشق إلى القاهرة في مهمة واستقبله قاضي القضاة بمصر، واحتفى به. وبعد صلاة العشاء، خرج هو وقاضي القضاة بمسيان في بعض شوارع القاهرة فلقيهما رجلاً من أتباع السيد البدوي، يذكر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، والسلام عليك يا أحمد يا بدوي. فحجبت ابن اللبان، والتفت إلى قاضي القضاة، يسأله عن هوية ذلك الرجل الذي يصيح بالليل في الشوارع، ويشرك شيعته في السلام مع رسول الله ﷺ؟ فطمس قاضي القضاة بعض العذر لذلك الرجل. ولكن ابن اللبان، قال: يجب تأديبه وتعزيره. فلما نام تلك الليلة، رأى في منامه، كأن سقف الجامع قد انشق، ونزل منه شخصان. جلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله. فقال الأول: نسليه الإيمان، فرد عليه الآخر: لا، بل نسليه العلم والقرآن، وتبقى عليه الإيمان، فإنه وقع في حق سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه. ثم أمسكه الرجلان فنهزاه هذا شديداً، فطمس الله على قلبه، وانتزع العلم والقرآن من صدره! فأصبح لا يحفظ آية من القرآن، ولا يعرف مسألة علمية. وحضر انداس لصلابة الفجر، فاعتذر لهم، فصلوا وانصرفوا. ولما طلع النهار، أخبر قاضي القضاة بما حصل له بسبب ذلك الرجل الأحمدى! فعرض عليه قاضي القضاة أن يحضر له الفقراء الأحمدية، يعتذر إليهم ويسترضيهم. لكنه اقترح أن يذهب بنفسه إليهم في زاوريتهم. فلما وصلا إليهما، وقبلا أحد الفقراء الأحمدية. قال لهما قبل أن يكلمهما: والله يا محمد ما بيدي حل ولا ربط فمسأله قاضي القضاة: ما الخير؟ قال: سلب القرآن والعلم. فقال له قاضي القضاة: يا سيدي لوجه الله. وصار يتذلل له، وابن اللبان يبكي، فركب الأحمدى. وقال لابن اللبان: تنسب إلى الله تعالى؟ قال ابن اللبان: نعم ولا أعود لمثلها. قال الأحمدى: سافر إلي سيدي يا قوت العرش بالإسكندرية، فإنك تلقي الفرج على يديه إن

شاء الله تعالى (١). فمما فر إلى الإسكندرية، ودخل على ياقوت العرشي في زاويته. فلما رآه، قال له: يا شمس الدين ما الذي أوقعك في هذه الورطة العظيمة؟! اذهب وتوضأ وصل، فقال ابن اللبان: إنه نسي القرآن. فأمره الشيخ أن يشتغل بالذكر. وبعد ثلاثة أيام، رأى في المنام النبي ﷺ، جالسا على كرسي عال من نور، والأنبياء كلهم على كراسي. والسيد البدوي واقف بين يديه، وهو يقول له: يا أحمد لا جلتا طيب خاطرك على محمد بن اللبان، ثم انتفتحت إلى ابن اللبان، وقال له: أما علمت أن من أولياء الله تعالى من هو تحت جناحي الأيمن، ومنهم من تحت جناحي الأيسر، وأحمد البدوي تحت جناحي الأيمن. فاستيقظ ابن اللبان، وأسرع إلى باب الخلوة. فوجد الشيخ ياقوت العرشي واقفا يهدر، وله زئير كالأسد! وقال له: يا محمد أيشرف فقد قضيت حاجتك. فإني سقت عليه جميع الأولياء، فلم يقبل. فسقت عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ، وقد رأيت بعينك.

فما فر الآن إلى طنطا، وطلب حول صندوق سيدي أحمد البدوي (٢). وأقيم عنده ثلاثة أيام، فإن حاجتك قد قضيت. فذهب ابن اللبان إلى طنطا. وأقام عند ضريح السيد البدوي ثلاثة أيام، يطوف ويبكي ويتضرع. وفي الليل، ينام عند رجله. وفي الليلة الثالثة، رآه في المنام. يقول له: لا تعد لمشايها، فوالله لو لا جدي رسول الله ﷺ، لعلمت أنك الإيمان! ثم وضع يده على صدره، فعاد إليه حاله وعلمه! ولما استيقظ ابن اللبان وجد نفسه يحفظ القرآن، ويعرف العلم كما كان!!

هذه قصة ابن اللبان، لعن الله من اختلقها، فقد كان وقحا قليل الأدب. لا يعرف قدر النبي ﷺ، ولا يحمله الإجلال اللائق بمقامه العظيم.

ثم ماذا فعل ابن اللبان حتى استحق هذا العقاب؟ أنه أنكر على الفقير الأحمدى أمرين منكبين:

(١) في رواية ذكرها الشعرائي في القصائد أن الشيخ ياقوت العرشي ذهب إلى السيد البدوي، وكأدبه في الغبر وجانبه! وقال له: أنت أبو الفتحة، رد علي هذا المسكين رساله... أي رأس مثله - فقال: بشرط الشوجة. فتاب ورد عليه رساله. بعد أن دار ابن اللبان على الأولياء، فلم يتذكر أحد منهم أن يدخل في أمره إلا العرشي! والرواية التي أوردناها، ذكرها صاحب الجواهر السنية، والتضارب بين الروايتين، دليل على الكذب.

(٢) كيف يأمره العرشي بالظروف، سؤل الضريح؟ وكيف قيل ابن اللبان هذا الأمر المخالف للشرعية؟

١ - إشرارك شيخه مع النبي ﷺ ، في الإسلام .

٢ - صباحه بعد صلاة العشاء ، وهو وقت نوم الناس وراحتهم . وإذا نهى العالم عن منكر ، أو أمر بمعروف ، أو نيه على خيلاً ، فإنه يستحق الشكر والتقدير ، لا العقاب والتعزير ، لكن يظهر أن المفاهيم انقلبت عند أهل الطريقة الأحمدية وشيخهم . فهم يرون انتصبة ذماً ، ويعتسرون التنبية على خطيئهم من أحدهم ، إزاء بهم ويديهم . فلذلك يختفون حكايات تخير بنزول العقاب الشديد السريع ، على من وجه نقداً إلى السيد البدوي أو أحد أتباعه . مثل هذه الحكاية ، وحكاية ابن دقيق العيد .

ومثل ما حكوه : أن شخصاً أنكر حضور مؤند السيد البدوي الذي يقام بطنطا كل سنة : فسلب الإيمان ، فلم تكن فيه شجرة تخن إلى دين الإسلام . فاستغاث بسيد أحمد البدوي (١) فقال : بشرط ألا تعود! فقال : نعم . فرد عليه ثوب إيمانه ! ثم قال له : وماذا تنكر علينا؟ فقال : اختلاف الرجال والنساء (٢) .

فقال له السيد البدوي : ذلك واقع في الطوائف ، ولم يمنع أحد منه . ثم قال : وعزة ربي ما عصي أحد في مولدي إلا وقاب وحسنت توبته . وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار ، مسيهاً من يعضها ، أقبح مني الله عن سماية من يحضر مولدي ؟ وفي هذه الحكاية أشياء ، تعذر دين السيد أحمد البدوي ، وثبتت نقص إدراكه . فإن سلب الإيمان عمن ينتقده . معناه : أنه يجب لمنقده الكفر ، ويرضى له به . ومحبة الكفر ، أو الرضا به ، كفر . وقد نص العلماء على أن كافراً لو أتى إلى خطيب بخطيب الخيصة ، وقال له : أريد الإسلام . وجب على الخطيب أن يثبته الشهادة في الحال . ولو قال له : أنتظر حتى تنتهي الخطبة كفر . لأنه رضى بقاءه على الكفر مدة الخطبة . فانتظر كيف نسب المتغالبون الكفر إلى السيد البدوي وهم لا يشعرون ؟ هذا إن فرضنا صحة ما حكوه من سلب الإيمان . وإلا فإن الإيمان لا يقدر على منبه أو إثباته السيد البدوي ، ولا من هو أقوى منه وأفضل . وإنما هو خاص بالخالق القادر المقدر سبحانه . فإذا سمعته أن وثياً أو نبياً أو ملكاً ، نزع الإيمان من قلب شخص ، أو رده إليه ، فاعتقد أنه كذاب محض . ومن

(١) نسي أن يستغيث بالله تعالى !

(٢) قد يكون هذا أهون ما يقع في الأقوال التي تقام للأولياء ، ويكون فيها اتضاع من غلصا : زنا ونواط وخبر

دعاء النبي ﷺ : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ! فسأله بعض أمهات المؤمنين عن هذا الدعاء الذي كان يكثر منه ؟ فقال لها : إن قلوب بني آدم كلها بين أصابع الرحمن كقلب واحد بقلبه كيف يشاء ، وقياس المولد على الطواف ، يقتضي أن السيد البدوي مجذوب ، لا يعي ما يقول . فإن الطواف عبادة ، جعله الله ركناً من أركان الحج والعمرة . والطائف لا بد أن يكون مستحجداً من ثيابه ، يحرم عليه مس العليين ، وقربان زوجته ، ولو فعل ، بطل حجّه أو عمرته . أما المولد فمجد أحدثه الشيخ عبد العال ،

بعد موت شيخه ، ولو فرضنا أنه حدث في حياة السيد البدوي ، فهو بدعة . وكيف تقاس البدعة على العبادة ؟ إلا أن يقال : إن المولد فيه طواف بالضرير ، فاشبهه بالطواف بالكعبة !

ثبت عن القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مستيش رضي الله عنه أنه قال : سألت الله أن يشغفني فيمن جاءني راتراً . هذا كلام معسول ، ولي أحب أن يكفني زواره . فسأل الله أن يشغفه فيهم . وشفاحة المؤمنين بعضهم لبعض ، ثابتة بالسنة الصحيحة . وأمن سبيس مع كونه من كبار الأقطاب ، مات شهيداً بعد أبو الطراني ، مدعى التوبة . لكن من غير المعقول ، ولا من المقبول : أن يقول السيد البدوي : وعزة ربي ما عصي أحد في مولدي ، إلا قاب وحسنت توبته . لأنه اتسلاء على الله (١) ، واجترأ على الغيب . وفوقه : وإذا كنت أرمي الكوحوش والسمك في البحار ، وأحميها من بعضها ، مبرؤد بلا نزاع . فالذي يرمي المخلوقات ، ويحميها من بعضها هو الله سبحانه وتعالى ، لا أحد سواه ، كائن من كان .

وذكروا من كراماته : أنه كان ملثماً بشمامين ، لا يخلعهما . فقال له تلميذه الشيخ عبد المجيد يوما : يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه . فقال : يا عبد المجيد كمل نظرة برجل . فقال : يا سيدي أرفى ولو مت . فكشف له اللثام الغرقاني ، فصعق وعات !! كان الخياط قبيح المنظر ، بحيث كان النساء يخرفن أطفالهن به . لكن يظهر أن السيد البدوي فاقه في قبح المنظر . بحيث من نظر إليه ، يصفق ويموت ! ولهذا كان عثمان بلشامين يستربهما وجهه ، لا يخلعهما إلا إذا زاره أخوة السيد حسن ، ولم يكن أحد من عائلته ملثماً غيره (٢) . هذا هو التعليل الصحيح لموت عبد المجيد حين رأى وجه شيخه ، إن صحت هذه الحكاية . لكنها غير صحيحة ، مثل باقي الحكايات التي افتروها

(١) : الله لا يحب من يتألى عليه .

عليه، وهي كثيرة.

بعض كرامات إبراهيم الدسوقي

وذكر الشيخ عبد الجواد الشرييني في كتاب درر الأصداف: أن سبعة من القضاة ركبوا النبل إلى دسوق، ليمتحنوا الشيخ إبراهيم الدسوقي. فلما وصلت المركب إلى دسوق، أرسل إليهم النقيب: قدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف!

فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض، حتى تغيرت أجسادهم وخلق ثيابهم. ثم تذكروا ما وقعوا فيه، فتأبوا هنالك.

فأرسل إليهم النقيب، قدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق، ومسح الله من قلوبهم تلك الاستغلة كلها! وأعترفوا بما كانوا جاؤا لأجله. فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل، فضحكوا.

وقالوا: بكفيننا ما جرى لنا! فأخذوا عليه العهد، وصاروا تلامذته. هذه الحكاية مكدوبة، وألصقت فيها ظاهرة ~ وأولئك القضاة البؤساء الذين قعدوا خلف جبل قاف مشردين: ألم يكن لهم أهل وأقارب يسألون عنهم؟ ألم تكن عندهم قضايا يدرسونها ويفصلون فيها بين أصحابها؟ وحل اعتبرهم قاضي القضاة ماتوا؟ أو اختطفوا؟ أو ماذا؟ يجوز أن يكون نقيب الشيخ اتصل بأهلهم وبقاضي القضاة، وأخبرهم أنهم أبعادوا إلى جبل قاف لمدة سنة زجراً لهم وتأديباً! لقد كان لهاتين هذه الحكاية أن يصوغها على غير هذا الوجه، بأن يقول: فلما وصلت المركب إلى دسوق، وقابلوا الشيخ، أرادوا أن يسألوه: فنسوا ما جاؤا^(١) لأجله. ولم يتذكروا شيئاً، فعلموا أنها كرامة من الشيخ. أو يقول: فلما ذهبوا إلى الشيخ وسألوه، أجابهم بما بهر عقولهم، واستفادوا منه ما لم يكونوا يعرفونه. مثل هذه الكرامة، لو حصلت للشيخ الدسوقي، تشرفه وتعلي قدره.

(١) حكى مثل هذا في كرامات الشيخ شمس الدين بختي: جاءه مرة قاض من المالكية، يريد امتحانه. فاعلموا الشيخ أنه جاء محتملاً، فقال للشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني، ما عادت أقعد على سجاد الفقراء.

فلما جاء القاض يسأل، قال: ما تقول في؟ وتوقف.

فقال له الشيخ: نعم. فقال: ما تقول في؟ وتوقف، حتى قال ذلك مراراً، ولم ينتج عنه شيء. فقال للقاضي: كنت أريد أن أسأل عن سؤال، وقد نسيت. ثم كشف راسه واستغفر وأخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء، والأعراف عنهم.

كما حصل للإمام البخارى - رضى الله عنه - فأنه لما جاء إلى بغداد، وعقد مجلساً للإملاء أخذ حديث. أتفق عشرة من العلماء، أن يتقدموا إليه بمائة حديث، يسأله عنها. على أن تكون مقنونة؛ إسناد هذا الحديث، يجعلونه الحديث الآخر، وهكذا. فلما جلس للإملاء قام أحد العشرة، فسأله عن عشرة أحاديث مقنونة.

والبخارى يجيبه عن كل حديث منها، بقوله: لا أعرفه. فأما العلماء؛ فآذروا أن البخارى إمام. وأما العامة، فظنوا أنه عجز عن الجواب. ثم قام الثانى والثالث إلى المعاشرة، والبخارى لا يزيد على قوله: لا أعرفه. فلما علم أنهم أتوا سؤالهم، انصرفت إلى الأول، فقال له: أخذت الأول، صوابه كذا. والثانى صوابه كذا. حتى أتى الأحاديث العشرة. ثم انصرفت إلى الثانى والثالث: حتى صحح الأحاديث المائة كلها، ورد كل حديث إلى إسناده، على الترتيب الذى ذكره. فحضره له، واعترفوا بحفظه وإتقانه. هذه هى الكرامة، أما الحكاية التى أفسروها على الشيخ إبراهيم المدسوقي، فهى تصويره بصورة الشخص الذى لا يعرف العلم، ويخاف من أسئلة العلماء.

وحكوا من كراماته: أن تمساحاً خطف صبياً، فأتت أمه مذعورة فأرسل تقيبه، فتأدى بشاطئ البحر: معاشر التماسيح من ابتلع صبياً، فليطلع به ... فطلع وعشى معه إلى الشيخ، فأمره أن يلفظ به ... فلفظه حياً!!! وقال للتمساح: ميت يا ذن الله، فمات! (١).

هذه خرافة ظاهرة؛ فلو سلمنا بما قالوا: إن التمساح كان يتكلم بالسريراني والعمجيني والفليناني واليوناني والاندلي، ولغة الوحوش والطيور، فلا نسلم أن تقيبه كان يعرف تلك اللغات. وإن التمساح احتمق بالطفل فى بطنه حياً، انتظارا لتقييب الشيخ الذى جاء يتأديه!

ونقلوا عنه أيضاً أشياء، فيها مبالغات ومجازفات. وقالوا: إنه ذكرها فى كتابه الجواهر. وما نظن أن الكتاب نه؛ وإنما كتبه بعض أتباعه، ونسبه إليه.

(١) حكى مثل هذه الحكاية فى مناقب ذى النون المصرى، على وجه مبالغى، أو قريب من المبالغى. فإن ذى النون: جاء تقي امرأة. فقالت: إن غنى أخذه التمساح، فلما رأيت حرقها على والدتها. فميت النمل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إلى. فشققت من جوفه. فأخرجت فيها سباً صحيحاً. فأخذه ومقت، وقالت: اجعلنى فى حل. فإني كنت إذا رأيتك سخرت منك، وإني تائب إلى الله تعالى.

حكاية محمد بن هارون السنهوري مع صبي القرطبي

وحكى عن الشيخ محمد بن هارون السنهوري: أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة تبعه أهل البلد، يشيعونه إلى داره، فمر بصبي القرطبي، وهو جالس تحت حائط، يفلى خنقته من القمل، وهو ماذ رجله. فخطر في سر الشيخ: إن هذا قليل الأدب، عند رجله، ومثلي يمر عليه، فسلط لوقت، وفر الثاني عنه. فرجع، فلم يجد الصبي. فدار عليه في البلاد إلى أن وجدته في رمية مصر. فلما نظر القرطبي إليه، وهو واقف، وقد فرغوا. قال له: تعال يا سيدي الشيخ، عثقت بخطر في خاطره أن له مقاما أو قدرا! هذا الصبي منك حالك، فله أن يمد رجله بحضرتك، لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: انتويه. فأسره إلى سنهور، إلى الخياط الذي كان يفلى ثوبه عنده... وقال له: نأد السخيفة التي هناك في الشق. وقل لها: أن قزمان^(١) طاب خاطره علي، فردى علي حالي. فخرجت وتقمخت في وجهه، فرد الله عليه حاله.

فهذه الحرفة تغيد أن صبي القرطبي^(٢) - وهو لا يصلي الجمعة، وربما لا يصلي إطلاقا - سلب الولي حاله! لكونه أقرب إلى الله منه! وعلى هذا: لا داعي للصلاة. ولا للمعابدات التي يتقرب بها إلى الله تعالى. كما جاء في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وما على الإنسان إلا أن يشتغل قرأا أو صبي قرطبي، فيعطيه الله الاطلاع على الضمائر، ويجعله أقرب إليه من بعض أوليائه! ثم إن الرلاية هانت وصغر شأنها، بحيث عادت إلى الولي، يتفخ سخيفة، إن الذين يحكون مثل هذه الحكايات السخيفة، يصغرون ما عظم الله. ويفتحون باب القول للشفهاء الباطنيين الذين لا يحسنون الوضوء، هم يدعون الولاية الكبرى.

حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معني طي الزمان

وذكر الشيخ يوسف الكردي، تلميذ الشيخ إبراهيم المتبولي، وكان مقيما بالخلوة في اوية الشيخ ببركة الحاج. قال: اشتقت إلى أهلي بحصن كسفا من بلاد الأكراد.

(١) هذا الاسم من أسماء التنصاري، ولا تعني مسلما اسمه قزمان. فإن كان صانع الكتابة يعتقد أن في التنصاري أولياء مقربين. فهو في ضلال مبين. أما سمع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ لَهْوَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) ﴿قَالَ عِمْرَانُ: ٨٥﴾.

(٢) بمشبهه الرء هو الذي يرضى القرطبي ويعلمه أنواعا من اللعب والحركات. ويسمى في مصر: القرد.

فشاورة الشيخ، وكان ذلك بعد صلاة العصر. فقال: إن شاء الله يكون. قد خلقت
اسقلوة، اقرأ وردا لعصر.

فرايت نفسي داخل بيتي، والناس تسلم علي، وشالوا الأعلام قداني. فدخلت دارنا،
فسلمت على أمي وأبي. ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقري أطفالاً، مدة تسعة
شهور. فقوى اشتياقي إلى الشيخ، فشاورة والدي ووالدتي، فاذن لي. فخرجت إلى
موضع خارج البلد، فإذا بي في حظرتي بركة الحاج. فخرجت لاستلم على إخواني، فلم
يسلموا علي. فأخبرتهم بسفري، فقالتوا: يوسف حصل له جنون. فعلم الشيخ بذلك،
فقال: اكتم يا ولدي ما معك!

نقل هذه الحكاية الشيخ الشعراي، وشعر بعمقها. فقال: حدثني بهذه القصة في
حاز كماله وعقله. قال: وهذه القصة تشبه مسألة الجوهرى الذى غطس في البحر، فرأى
نفسه ببغداد. فتزوج وجاء بالأولاد. ثم رفع رأسه، فإذا هو عند ثيابه، بساحل النيل
بمصر. فخرج في الحس، ما كان في عالم الخيال.

قلت: أتعجب ممن يصدق مثل هذه الحكاية، ويرسم أنها من طي الزمان مع أنها
محال. لا بتصور العقل حصولها أبداً.

والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. وطى الزمان، نه معنيان ممكنان والتعان:

أحدهما: الخروج عن دائرة الفلك التى يتكون عن حركتها الليل والنهار. كما حصل
لنبي ﷺ ليلة المعراج، فإنه تجاوز دائرة الفلك، وترقى حتى وصل إلى سدرة المنتهى.
فطوى الزمان ومشى في العالم العلوى مسافة لو قيست بالزمان، كانت بضعة آلاف من
السنين^(١)، وهذا طى حقيقى. ومن هذا كان المعراج معجزة عظيمة، طوى الله فيها لنبى
الزمان والمكان. أما طى الزمان، فقد علمته. وأما طى المكان، فلأنه فارق العالم الأرضى،
إلى العالم العلوى. ورأى فيه من آيات ربه الكبرى، ثم عاد فى ليلة.

ثانيهما: طى مجازى، وهو أن يتيسر للشخص فى الزمن اليسير، من أتعلى النافع، ما
لا يتيسر لغيره إلا فى زمن طويل. كالإمام الشافعى رضى الله عنه: عاش أربعاً وخمسين
سنة. أنشأ فيها مذهبين المذهب القديم بالعراق، والمذهب الجديد بمصر. وأخسر علم

(١) بل بضعة آلاف من السنين. لأن سدرة المنتهى مخرجة عن دائرة المجموعة الشمسية بما فيها من نجوم

الأصول، وترك من الآثار العلمية، ما لم يتيسر لغيره من عاشر مائة سنة. وكذلك
 أنقرض الله عنه، عاش خمسا وخمسين سنة. وترك من المؤلفات في مختلف العلوم
 - خصوصا كتاب إحياء علوم الدين - ما لم يتيسر لغيره في عدة سنين. هذا إلى ما كان
 يقوم به من تدريس العلوم للطلبة، مع التعب والجهد لنفسه.

أما أن يذهب الشيخ إلى العراق مثلا، ويحكي هناك سنة وتكون تلك السنة في
 مصر ساعة من نهار، فهذا أمر محال، فنترك استحالته بالبداهة العقلية. لأنه يلزم عليه أن
 تكون الساعة التي مضت بمصر، مساوية للسنة التي قضىها بالعراق والساعة كما هو
 معلوم بجزء من الليل والنهار اللذين هما جزء من الشهر الذي هو أجد الأجزاء الأثني
 عشر التي تتكون منها السنة. ومساواة الساعة للسنة، يلزم عنها مساواة الجزء للكل،
 وهو محال، فما أدى إليه يكون محالا. ومن تحدث بوقوعه له أو لغيره، لا يخلو من أحد
 ثلاثة أشياء: إما أن يكون كاذبا يريد تعظيم شيخه أو نفسه، وإما أن يكون أحسن، لا
 يدري ما يقول، وإما أن يكون واسع الخيال، تخيل أمرا، فخاله حقيقة^(١).

محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعد الجارحي

وذكر في ترجمة الشيخ تاج الدين الذاكر:

إنه كان يحكي سبعة أيام بوضوء واحد. وفي آخر صومه، كان يتوضأ وضوءا واحدا
 كل أحد عشر يوما. وأراد جماعته أن يمتحنوه، فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع.
 وصاروا يعملون له الخرفان والدجاج والبن بالأرز وغير ذلك، وهو يأكل معهم من ذلك،
 ثم لا يروته يتوضأ ليلًا، ولا نهارًا، مدة تسعة أيام.

وذكر في ترجمة أبي السعد الجارحي

أنه كان ينزل في سرداب تحت الأرض. أول ليلة من رمضان، فلا يخرج إلا بعد التعيد
 بستة أيام. وذلك بوضوء واحد من غير أكل. وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر
 أوقية.

ليس من المعقول أن يستغني الإنسان عن قضاء الحاجة يوما، فغسلا عن أكثر.
 والمعروف أن أهل الجنة خصهم الله تعالى، بأنهم لا يقضون الحاجة فيها. ففي صحيح

(١) مر قريبا قوله الشعراني: فخرج في الحس، ما كان في عالم الخيال.

مسلم عن جابر رضى الله عنه، عن النبي ﷺ. قال: إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَفَّلُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَبْرُلُونَ وَلَا يَمْسُخَطُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جَشَاءٌ وَرَشَعٌ كَرَشَعِ الْمَلِكِ يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهِمُونَ أَنْتُمْ أَنْفُسَ، هَذَا مَا مِيزَهُمُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا. وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبَيِّنَ لِلنَّاصِيَةِ بَشَرِيَّةَ عَيْسَى وَأَمَّهُ، بِأَوْضَحِ بَيَانٍ، وَأَنْصَبِ بَرَهَانٍ. قَالَ: ﴿هُوَ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ حَبِيبَةُ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، أَيْ وَمَنْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، يَضْطَرُّ أَنْ يَخْرُجَ فَضْلَتُهُ مِنَ الْجِسْمِ. فَهُوَ بَشَرٌ، وَلَيْسَ بِإِلَهِ.

لَمْ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَبُو السَّعُودِ الْجَارِحِيُّ فِي رَمَضَانَ، مَخَائِفَ الْمُسَنَةِ النَّبَوِيَّةِ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ الْقَطْبِيَّةِ، لِأَنَّ الْقَطْبِيَّةَ يَكُونُ عِبَادَتُهُ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِ، مُتَقَبِّلاً بِأَنْبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّ عِبَادَتَهُ أَكْمَلُ الْعِبَادَاتِ.

وَمِنَ الْكَرَامَاتِ الْعَجِيبَةِ: مَعْرَظَةُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ!

وَقَصَّتْهَا طَوِيلَةً، حَكَاهَا الْجَبْرِتِيُّ فِي تَارِيخِهِ، فَرَأَتْهَا مِنْذُ مَدَّةٍ. وَالَّذِي أَتَذَكَّرُهُ مِنْهَا: أَنَّ النَّاسَ فَتَنُوا بِهَا، فَكَانُوا يَبْعَثُونَ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَطْرِيفِ مُؤَذِّنَ مَسْجِدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ... وَهُوَ مَخْتَرَعُ قِصَّةِ الْمَعْرَظَةِ ... يَطْلُبُونَهَا مِنْهُ لِقُبْرِكَ بِهَا. وَكَانَ يَأْخُذُهَا إِلَيْهِمْ. فَيَسْمَسُحُونَ بِهَا. لَمْ يَرُدُّونَهَا إِلَيْهِ، مَعَ هَذَا ثَمِينَةٍ مِنْ ثَقُودٍ وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. حَتَّى وَصَلِي الْخَبِيرَ إِلَى الْأَمِيرِ كَتَبَتْهُدَاً. فَهَبْتُ إِلَيْهِ، يَطْلُبُ الْمَعْرَظَةَ لِقُبْرِكَ بِهَا. فَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَطْرِيفِ رَاكِباً عَلَى بَغْلَةٍ، وَالْمَعْرَظَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ. حَتَّى وَصَلِي إِلَى بَيْتِ الْأَمِيرِ. فَقَدَّمَهَا إِلَيْهِ. فَظَهَرَ الْأَمِيرُ أَنَّهُ يَتَسَرَّكُ بِهَا. ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهَا إِلَى الْحَرِيمِ لِقُبْرِكَ أَيْضاً. وَأَشَارَ إِلَى ضَبَاحِهِ بِذِيحِهَا وَضَبَّحَهَا. فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ، صَارَ الْأَمِيرُ يَقْدِمُ اللَّحْمَ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَطْرِيفِ. وَيَقُولُ لَهُ: كُلْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَذِيذٌ. وَالشَّيْخُ يَقُولُ: نَعَمْ يَا مَوْلَانَا الْأَمِيرُ مَا أَكَلْتُ شَيْئاً أَنْذُ مِنْهُ. وَانْتَهَى الْغَدَاءُ. وَأَرَادَ الشَّيْخُ أَنْ يَنْصَرِفَ، وَطَلَبَ الْمَعْرَظَةَ. مُتَقَبِّراً مَا يَأْتِي مَعَهَا مِنْ هَذَا فِي خِمَّةٍ. فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ: تَغْدِيتُ بِهَا، فَهَبْتُ الشَّيْخَ، قَرِيبَهُ الْأَمِيرَ عَلَى اسْتِغْلَالِهِ الْمَعْرَظَةَ، وَارْجِعْ رَاكِباً عَلَى بَغْلَتِهِ مَقْلُوباً رَأْسَهُ إِلَى جِهَةِ ذَهَبِهِ. وَشَنَعَ بِهِ. وَذَكَرَ فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَعْلِيِّ: أَنَّ تَحْسَاخُ خَطْفِ بَنَاتِ مَخِيْمَرِ الْقَنْبِيقِ، فَجَاءَ وَهُوَ يَمْكِي إِلَى الشَّيْخِ. فَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَطَفَهَا مِنْهُ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِكَ: يَا تَحْسَاخُ تَعَالَى كَلِّمِ الْفَرَعْلِيَّ. فَخَرَجَ التَّحْسَاخُ مِنَ الْبَحْرِ، وَطَلَعَ كَالْمَرْكَبِ. وَهُوَ مَاتَرٌ. وَاخْتَلَقَ بَيْنَ

بدميه، بجارية يسبنا وشسلا، إلى أن وقف على باب الدار. فأمر الشيخ رضي الله عنه الشداء بقلع جميع أمتانه، وأمره بلفظ التثنية من بطنه، فلقيظها حية مذهوشة. وأخذ على التمساح العهد ألا يعود يخطف أحدا من بلده ما دام يعيش. ورجع التمساح، ودعوه تسيل حتى نزل البحر.

تقدم مثل هذه الحكاية في كرامات الشيخ إبراهيم اندسوتي، وهي مكتوبة كسابقتها. والشيخ الفرغل، كان مجذوبا كما في ترجمة الشيخ الخنفي من طبقات الشعرائي.

طيران النعش بالثيت وأنكره

ومن الكرامات الغريبة: طيران النعش بالثيت، وهذه كرامة لم أجدها في كتب تراجم الأولياء، المخطوط منها والمطبوع، ولم أسمع بها حتى حضرت إلى مصر. فوجدتها شائعة بين أهل حاضرتها وباديتها. وتحييت في أمرها، ولم اختصاص بها أولياء مصر دون سائر البلاد الإسلامية؟ ثم زالت خيرتي، حين وقعت على رسالة مخطوطة للشيخ الشعرائي، ألفها في هذا الموضوع. وقرأتها فإذا هو يذكر فيها أن العامة في وقته ابتدعوا هذه البدعة، وأدعوا أنهم شاهدوا النعش يتغير ببعض الموتى. وكذبهم في هذه الدعوى، وذكر أنه لا أصل لها في الدين. وليس عليها دليل. وغاية ما في الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: إذا وضعت الجنائز فأحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: لأهتها؛ يا ويلها أين ذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق. رواه البخاري. لكن هذا لا يقتضي طيران النعش بالثيت. فعرفت حينئذ أن حكاية طيران النعش، كذبة ابتدعت في عهد الشعرائي، وهو القرن العاشر الهجري. وتتبعها في عدة جنازات شهدت بها بالقاهرة وبالأرياف فوجدتها كذبا كما قال الشعرائي. وأن الحاملين للنعش، يفعلون حركات يهلوانية، ثمهم الناس أن النعش يتغير وأن الحاملين يتطيشون به حتى لا يفلت من أيديهم^(١). وقد يكذب بعض الناس حسبة، ليرفع من شأن الثيت.

(١) وكذبة أخرى شاعت بمصر. وهي دعوى أن النعش يتقل على حامله بحيث لا يستطيعون حملته، لأن الثيت لا يريد نقله من ذلك المكان بسبب من الأسياح. ذكرني جماعة كنت عندهم بمدينة رشيد: أن امرأة توفيت في ذلك الخيمة، وظهور الزنا كذبت صالحة. ادعى أهلها أنه لا بد أن جهزوا ووضعوها في النعش، حاولوا حملها فلم يستطيعوا. وسرت القسامة بين أهل البلد بسرعة. وعلم مأمور المركز قبعت

حضرت جنازة شيخنا عالم الديار المصرية وشيخ شيوخها الشيخ محمد بخيت رحمه الله، وبعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر، خرج النعش محمولا على الأعناق، فقلنا بعض الطلبة: انظروا إلى النعش بطير! فتعظرت قرايت النعش بهتة بحركة الخاملين له مع شدة الرحام. فقلنا له: إنه لا يطير، ولكنه الرحام أحدث ما ترى. فقال: إنه يطير، فأحدثت بصري، غم أوطيرنا، فراجعته، فقال: صدقتى أنه بطير. فقلت: سبحان الله ترى ما لا نرى!!

حكاية عيسى بن نجم

وقال الشعراني في الطبقات: سمعت سيدى عليا الشرفى رضى الله عنه يقول: مكث سيدى عيسى بن نجم رضى الله عنه بوضوء واحد، سبع عشرة سنة. فقلنا: يا سيدى كيف ذلك؟ فقال: توضع يوما قبل أذان العصر. واضطجع على مسيرته. وقال للنقيب: لا تمكن أحدا يوقظنى حتى أمسيت بغيرى. فما تجرأ أحد يوقظه، فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ وعينه كالأحمر. فصلى بذلك الوضوء الذى كان قبل اضطجاعه. ولم يجسد وضوء. وكان فى وسطه منقطة، فلما قام وحلها. انشأت منها الدود. قال الشعراني: وهذه أحوال الشهود، فيمضى على صاحبها عمره كنه كنه لجة بارق، كما يعرفه من سلك أحوال القوم.

قلت: وقد يحصل للشخص غيبوبة عدة سنوات. لمصابته بمرض النوم، أو إغماء، أو نحو ذلك. لكن يجب عليه الظهارة إذا أفاق، ويظهر أن الشيخ عيسى بن نجم لم يكن عالما، فصلى بوضوئه السابق على غيبوبته، وهى صلاة باسلة. ومثل هذا لا يعد كرامة، بل هو نتيجة جهل بحكم شرعى.

حكاية حصان دخل قبره ولم يخرج منه

وذكر الشعراني فى ترجمة الشيخ عيسى بن نجم أيضا، نقلًا عن الشيخ محمد البرلسي: أن شخصا تذر: أن ولدت فرسى هذه حصانا، فهو ثم سيدى عيسى بن نجم.

« أربعة عساكر، حملوا النعش وأوصلوه إلى المقابر في هدوء. وكنت أعرف شخصا شاذيا اسمه الشيخ عبد الكريم، كان صالحا ذا كرامات يقوم الليل، على وجه نورانية ظاهرة. فلما توفي رحمه الله، زعم مشيعوه أنهم حووا وصلوه إلى باب بولط... رواية التولى... وقف النعش كنه مشدود إلى الأرض بمسامير، ولم يتحرك حتى أقاموا حضرة ذكر، كما كانوا يفعلونها عنده فى الزنوية الشاذية بدرب المسجرا

فولدت له حصاناً. فلما كبر، أراد أن يبيعه. وقال: أيش يعمل سيدي عيسى به؟ فيبشما هو مار به ذات يوم، وقد صار تجاه سيدي عيسى، رجع من صاحبه حتى دخل المزاية. فرجع صاحبه من ورائه. فدخل الحصان قبر الشيخ وتم يخرج.

قلت: يكفر من الناس أن يندروا حصاناً للشيخ فلان، أو عجلاً للشيخ فلان. ولا يكاد يعقلو بيت في الفلاحين بالوجه البحري في مصر، من أن يندر صاحبه أو صاحبه عجل للشيخ الهندي أو خروفاً أو ديكاً أو نحو ذلك. وعجل السيد، مثل معروف عندهم. وهو أشبه بالنسائية التي كانت في الجاهلية.

وانذر عبادة لله تعالى، كالصلاة وغيرها من العبادات.

وهو نوعان:

١ - نذر لجأج، وهو ما يقع بشرط. نحو: إن شفاني الله، أو قضى مسئلتى، فله على أن تصدق بكذا ديناراً، أو أذبح عجلاً وأطعمه للفقراء. وفي هذا يقول النبي ﷺ: «إن النذر لا يقرب» من أين آدم شيئاً ثم يكن الله تعالى قشره له ولكن النذر يرافق القدر فيخرج^(١) ذلك من التخييل ما لم يكن التخييل يريد أن يخرج^(٢) رواد مسلم في صحبته.

٢ - ونذر بر، وهو الذي لا يكون بشرط. نحو: لله على إطعام بعض الفقراء، أو لله على صوم يوم أو أكثر، أو نحو ذلك.

وقد مدح الله تعالى الوفاء به، في قوله سبحانه ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، والنوع الأول يكبره ابتداءً. لأنه يفيد معاملة العبد لله بالشرط. لكن إذا وقع، وجب الوفاء به، كما يجب الوفاء بالنوع الثاني، ومن هنا تعلم أن النذر ثلثي أو لولي، لا يجوز، كما لا تجوز الصلاة له أو العياد. ولما كثر من العوام النذر للأولياء، وفي الغالب يكون الولي المذكور له ميت، والميت لا يملك. أفتى بعض العلماء المتأخرين بأن معنى قول الشخص: نذرت هذا العجلى أو الحصان فلان الولي: أنه نذر لله، وثوابه لروح ذلك الولي صدقة عليه. وحيث كان الولي ميتاً فإنه يعطى لأولاده. وإن لم يكن له أولاد، أعطى لاتباعه والمقيمين بزايته. وهذا تحايل لتصحيح النذر الواقع من العوام الجهلة بأحكام الشرع.

وكثير من تلاميذ لا يعرفون الأحكام الشرعية، يعتبرون هذه المنذور حقاً لهم
مكتسباً، وإذا وقع المنذر شيء يؤديه، اعتبروه كرامة لهم، بحيث لم يفت بما نذره.
والعجب من الشيخ الشعرائي - وهو فقيه شافعي - كيف يوافق العامة على آرائهم
الشاذة للشرع! ويحكى أن الحصان المنذور، ربح من صاحبه، ودخل قبر الشيخ المنذور
هولاً!!

وكيف عرف الحصان أنه منذور للشيخ أو ماذا يفعل الشيخ بالحصان في قبره؟ قاله إن
هذه الحكاية لفرية، ما فيها مزية.

الشيخ الشربيني رد ملك الموت حين حضر لقبض روح ولده

وقال الشيخ الشعرائي أيضاً في ترجمة الشيخ محمد الشربيني: ولما ضعف ولده
أحمد، وأشرف على الموت، وحضره عزرائيل لقبض روحه. قال له الشيخ: ارجع إلي
ربك فراجع، فإن الأمر نسخ. فرجع عزرائيل، وسفح أحمد من تلك الضعفة، وعاش
بعدها ثلاثين عاماً.

معنى هذه الحكاية ومغزاها: إن الشيخ الشربيني، علم ما تم يعلمه ملك الموت الذي
أرسل لقبض روح ولده، وأن ولده آخر أجله ثلاثين عاماً. وهذه دعوى باطلة بشقيها.
فلا الشربيني علم ما لم يعلمه ملك الموت، ولا ولده تأخر أجله. ثم يقال: كيف رأى
الشيخ الشربيني ملك الموت؟ هل ظهر له عياناً كما ظهر للنبي؟ حين استأذن عليه لقبض
روح خصوصية له عليه السلام؟ أم ماذا؟!

والعجب أن الشعرائي. قال بعد هذه الخرافة بمضعة أسطر: ما نصه: وكان الشيخ
محمد بن عثمان وغيره يذكرون عليه - أي الشيخ الشربيني - لعدم صلاته مع الجماعة.
ويقولون: نحن ما نعرف طريقاً تقرب إلى الله تعالى، إلا ما تروج عليه الصحابة والتابعون.
فالشيخ الذي يعترض عليه شيخ عصره، لعدم صلاته مع الجماعة لا يختار من أحد
أمريين:

أما أن يكون مجذوباً، وأما أن يكون عاقلاً، لكنه مقصر في واجبات الدين وكلاهما
يعيد من مناصب القرب، لم يصل بعد إلى مقام الكرامة والاتحاق.

حكاية حسن العراقي

وذكر الشيخ الشمراني أيضاً عن شيخه الشيخ حسن العراقي : أنه قال له : دخلت جامع بني أمية، فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام. فاشتقت إلى لقاءه، فصرت لا أسجد سجدة. إلا سألت الله تعالى أن يجمعني عليه. فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب، أصلي صلاة السنة، إذا بشخص جالس خلفي، وحسن علي كوفي، وقال لي : قد استجاب الله دعائك يا ولدي. ما لك؟ أنا المهدي! فقلت: تذهب معي إلى الدار. فقال: نعم، فذهب معي. فقال: أدخل لي مكاناً أنفرد فيه. فدخلت له مكاناً. فقام عندي سبعة أيام بلياليها. ونقنتي الذكر. وقال: أعلمك وردى. تدوم عليه إن شاء الله تعالى. تصوم يوماً، وتضطر يوماً. وتصلّي ثلث ليلة خمس مائة ركعة. وكنت شأياً امرء، حسن الصورة. فكان يقول: لا تجلس قط إلا ورأيتي، فكنت أفعل. وكانت عمامة العجم. وعليه جبة، من زبر الجبال. فلما انقضت السبعة أيام خرج فودعته. وقال لي : يا حسن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك. فدم علي وربك حتى تمجز، فإنك ستعمر طويلاً. ثم قال للشمراني بعد هذه الحكاية: فعمري الآن مائة وسبع وعشرون سنة. وقيل أن تكلم علي هذه الحكاية تبين مسألتين :

١ -- المهدي المنتظر، فيه خلاف. معظم الأشعرية يعتقدون حقيقته، حتى أنهم ذكروه في قسم السمعيات من علم العقائد. لأن الأحاديث بظهوره متواترة. واعتزلة ينكرونه، ويعتبرون القول به نزعاً شيعية.

٢ -- اختلف العلماء في الأرواح، هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ ذهب جماعة إلى أنها خلقت قبل الأجساد. ونفى آخرون ذلك وقالوا: إنما يخلق الروح بعد خلق الجسد، حيث ينفخ فيه. وعلى هذا الرأي درج ابن حزم وغيره. وليس غرضنا الاستدلال للقولين، والموازنة بينهما. ولكن غرضنا التمهيد لنقد الحكاية التي يدعي فيها الشيخ حسن العراقي أنه رأى المهدي المنتظر، في أوائل القرن العاشر الهجري. مع أن الأحاديث تنبئ بظهوره قرب الساعة. حيث يظهر في دجال ويقاُتله، ويتزل عيسى عليه السلام. فيقتل الدجال، وينتصر الإسلام. وقد بدت الآن بوادر، تنذر بقرب ظهور الدجال. فإن كان الشيخ حسن،

صادقاً فيما يقول، فالمهدي إما أن يكون قد مات، ويحييه الله ثانياً، ليقاتل الدجال.

كما أخبرت الأحاديث الصادقة . وإما أن يكون لا يزال حياءً فقد يطلع من الكبر عتياً .
وحشنة . ثم تبقى له قدرة على القتال والجهاد . وكلا الاحتمالين بعيد . بل باطل .

قد يقال : أنه اجتمع بروح المهدي ، دون جسده الذي لم يخلق بعد . وهذا هو مراده ،
فقد قال الشيرازي في الأيوبيات والجواهر : المهدي ولد الحسن العسكري بن الحسين (١) .
وعولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف . وهو باق إلى
أن يجتمع بمبsey ابن مريم عليه السلام . هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون
فوق كوم الرين المظلل على بركة الرطلي ، بمصر الهروسة ، ووافقه على ذلك سيدي علي
الخواصي .

ونقول : بينا أننا وجود الخلاف في الأرواح هل هي مخلوقة قبل الأجساد ؟ فإذا نحن
أخذنا بهذا القول هنا ، فقد رجحناه على مخالفة لا ندليل ، ولكن لتصدق الشيخ حسنا
فيما ادعى . وليس هذا بالطريق العلمي في ترجيح قول على غيره . وقد لاحظت أن بعض
المشايخ يستغل ثقة الناس به ، واعتقادهم فيه . فيرمي بظلمة ، تحسلي معتضديه أن يتمسوا
لها تأويلات بعيدة من غير أن يخطر ببالهم إساءة الظن به ، وهذا خطأ كبير . قالوا يجب أن
ننظر في الكلام الذي صرح عن صاحبه ، وليأ كان أو عالماً . فإن كان يحتمل تأويلاً قريباً
معقولاً أولناه ، وإن كان يحتمل تأويلاً بعيداً غير معقول ، أو لا يحتمل تأويلاً ، لمكونه
صريحاً ، حكنا على صاحبه بما يقتضيه كلامه . فإن كان من قبيل الرأي خطأ ، وإن
كان من قبيل الخبر كذبناه . ونهنا صرح أهل الحديث رضي الله عنهم بتشذيب رجال
صالحين ، يستسقى بهم الغيب . لأنهم أسسوا عقيدتهم كذا في الرواية . ونال الإمام
مالك : لقد أدركت في المدينة رجالاً لو اتهم أحدهم على بيت المال ، لكان عليه أمينا .
وهم أرو عنهم الحديث ، لأنهم ليسوا أهلاً للرواية . إذا تقرر هذا ، فخير الشيخ حسن
العراقي في مقابلة المهدي ، غير صادق . والحمل عليه فيه لا محالة . ونحن لا يمكننا أن
نصدق أن المهدي كان رجلاً موجوداً في القرن العاشر الهجري ، ثم يظهر بعد ذلك بألف
سنة أو أقل أو أكثر ، إلا إذا كنا على مذهب الشيعة الذين يقولون : أنه موجود ، غاب في

(١) الذي تدره في كتابه في تاريخه أن المهدي من ولد الحسن عليه السلام . والحق في ذلك : أنه لم تتأجل
عن الخلاف . وهي حق له ، حقاً تدره أنفسهم . عرضه الله بأن جعل الخليفة الحق الذي يظهر في آخر
الزمان من ولده ، وبزيت الصوفية على ذلك : أن الله جعله أول الأقطاب في هذه الأمة .

السرداب أو في جيل رضوى^(١). ويتنازعون ظهوره. لكن الشيخ حسن ليس بشيعة. وروح المهدي لا يمكن أن يظهر لأحد - على قول من يقول يتقدم خلق الأرواح - لأن الروح إنما يتشكل بعد وجود جسمه الطبيعي. فيظهر في أجسام مثالية، تشبه جسمه. لكن قبل وجود الجسم؛ لا تشكل ولا تطور. ثم ما ذكره الشيخ حسن العراقي من تاريخ مولد المهدي، ناقضه بتاريخ آخر أبداه. فقد نقل عنه الشعماني أيضا في الأنوار القدسية في آداب العبودية: إنه سأل الإمام المهدي عن سنة مولده؟ فقال: يولد أواخر المائتين من الهجرة. قال الشعماني: فسألت عن ذلك بعض الكمالي من شيوخنا^(٢) فأجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك أنه. وهو تناقض واضح، وقد وافقه عليه الشيخ علي الخواص إذ هو المراد ببعض الكمال في كلام الشعماني. والعجيب في هذا الخبر أن الإمام المهدي هو نفسه عينه الأخير للشيخ حسنا سنة مولده!!

حكاية اجتماع سهل التستري بشخص من أصحاب عيسى بن مريم

وحكى الشعماني أيضا في ترجمة سهل بن عبد الله التستري. فقال وكان رضى الله

(١) الشيعة الإمامية يقولون عن محمد بن الحسن العسكري - نسبة إلى العسكري وهي سر من رأى - آخر الأئمة الاثني عشر: إنه المهدي المنتظر. قال ابن الأثير في تاريخه: ولد محمد بن الحسن الخليل سنة خمس وخمسين ومائتين. وتزعيم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى، وأنه تنظر إليه فلم يعد حيا.

وكان عمره تسع سنوات. وذلك في سنة خمس وستين ومائتين على خلاف فيه أنه. وفي الفصول المهمة: قيل: إنه غاب في السرداب سنة ست وستين ومائتين. وقيل ابن بطوطة في رحلته: ثم وصلت إلى مدينة الخلة وهي مستطيلة مع أنقرات، وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية. وبها مسجد على باب ستر حبر. يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه، وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر. فهم كل يوم يمس آله بأحزاب مائة منهم. ويأتون باب المسجد، ومعهم ذبابة مسرجة ملجمة، ومعهم الطيور والبهائم، ويقولون: أخرج يا صاحب الزمان، فقد كثر ظفركم وأنفساء. وهذا إذا خرجك، يفرق الله بين الحق والباطل، ويقفون إلى الغيل، ثم يهردون. كذلك دأبهم أبداً أنه. والشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكجي - ويقولون: الكشي - كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان قال فيه: من الأدلة على كون المهدي حيا باقيا بعد هيبته إلى الآن: أنه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى بن مريم والتخبر والقياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعراف الدجال وإفليس الثميين من أعداء الله تعالى. ثم استدل بذلك بما يراجع عن ذلك. أما الشيعة الكيسانية، فيرون أن المهدي المنتظر هو محمد ابن الحنفية بن علي عليه السلام وأنه حي مقبوم بجناب رضوى قرب المدينة وهو بين يدي بحقائمه. وعند عهدهم تهربان بناء وعسل وأنه سوف يعود بعد الغيبة. وملا الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما. وكان السيد الحبري على هذا المذهب.

(٢) يعني الشيخ علي الخواص.

عنه يقول: اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام، في ديار قوم عاد، غسلت عليه، فرد على السلام. فزيت عليه جبة من صوف، فيها طراوة. فقال لي: إنها علي من أيام المسيح. فتعجبت من ذلك! فقال: يا سهل إن الأيدان لا تخلق ثياباً، إنما يخلقها رائحة الذنوب - أي كرائحة الكذب - ومطاعم السمات. فقلت له: فكم لهذه الجبة عليك؟ قال: لها علي سبعمائة سنة! فقلت له: هل اجتمعت بنبينا محمد ﷺ؟ فقال: نعم وآمنت به، حين آمن به الجن الذين أوحى إليهم في حقهم ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، قلت: هذه القصة شبيهة بقصة زريب بن برثملا الذي ظهر للجيش سعد بن أبي وقاص بغفار، وزعم أنه وصي عيسى عليه السلام. وأنه أمره بانتظاره في ذلك المكان، حتى ينزل في آخر الزمان. وهي قصة طفوية. رواها الحكماء، وصرح بوضعها أين تسمية وغيره. وذلك الشخص الذي ادعى أنه من أصحاب المسيح كذاب، كذب على سهل، وهذا تقبل كذبه بسلامة نية، وهو خطأ. ومن الأمثال التي رويت حديثاً وليس بحديث، قولهم: الثقة بكل أحد عجز. وما كان ينبغي لسهل - وهو صوفي نجله ونحترمه - أن يصدق كاذباً من غير أن يعرف عنه ما يدل على صدقه، بل حكايته، تنادي بكذبه. والعجيب أن الشعرائي علق عليها بقوله: ومن هنا كان الخضر عليه السلام، لا تبلى له ثياب. لأنه لا يعصى الله تعالى ولا يأكل سراماً. ولو كان عنده وعي أهل الحديث وبعد نظرهم، لعرف أنها مكذوبة (١).

وقال الشعرائي أيضاً: وقد كان سهل بن عبيد الله التستري رضي الله عنه، يقول: أعرف تلامذتي من يوم ألتفت بربكم؟ وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي. وهم في الأصلاب. لم ينجسوا عني إلى وقتي هذا. نقله ابن العربي رضي الله عنه في الفتوحات المكية.

قلت: نقل هذا الكلام، تأكيداً لما ذكره من استطالة الأرواح، وسعة إدراكها. وهذا الكلام إما أن يكون غير صحيح عن سهل، وإما أن يكون صدر عنه في حالة شطخ. أما

(١) وحكي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي - وهو استاذ إبراهيم الخواص - قال: اجتمعت بشخص من أصحاب أبينا إبراهيم عليه السلام، وقال: إنه ساكن في الهواء سنة روى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالتجسس. فقلت له: ما سملك في الهواء. وأنت من بني آدم؟ فقال: توكلني على الله عز وجل. فقلت له: وما أنتوكل؟ قال: أنتظر إلى الله تعالى دائماً بلا عين تطرف. وإذا كرهته بذلك لا يصحرك. وأخولان في مصنوعاته بلا روح كفعل. قلت: هذا - إن صبح - اجتماع روجي لا جسمي.

أن يكون قاله في وعيه، وحال تمكنه في مقامه، فلا. لأنه كلام غير مقبول، ولا معقول. ذلك أن روح النبي ﷺ أكمل الأرواح، وأعلاها علما وإدراكا. ومع ذلك يقول الله تعالى له: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونعبر لا نشك أن روح النبي ﷺ، كسان يوم الست بربكم، يعرف الإيمان والكتاب. لكنه حين وجد جسمه الشريف، نشأ معه الروح نشأة جديدة، قطعت الصفة بينه وبين حاله قبل وجود الجسم. وأصبح لا يعرف شيئا، إلا ما عرفه الله تعالى إياه بالروح. وإذا كان هذا حال الروح مع جسم طاهر معصوم من المعاصي والخرافات، فكيف يكون حاله مع جسم مطعج بالذنوب؟ لابد أن يكون حجابها أشد كثافة، وأكثر ظلاما. ولما قال الكفار حين رأوا العذاب يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، قال الله تعالى يكذبهم ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وما عادوا لما نهوا عنه من الكفر، إلا لأنهم نشأوا نشأة جديدة، أنستهم ما شاهدوه من العذاب.

إذن فليس من المعقول: أن يعرف سهل أو غيره تلامذته من ذلك اليوم، ولا يحجبون عنه.

كلام للشيخ إبراهيم الدسوقي غير مقبول

وما لا يعقل ولا يقبل: قول الشيخ إبراهيم الدسوقي، في كتاب أنوار المنسرب له: أشهدني الله تعالى ما في العلا، وأنا ابن ست سنين. ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طليسم السماء، وأنا ابن تسع سنين. ورايت في السبع المثاني حرفا حار فيه الجن والأانس، فقهيمته وحمدات الله علي معرفته. وأحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى، وأنا ابن أربع عشرة سنة. قلت: إن لم يكن هذا الكلام صدر من صبي، في حالة شطح، قبل تمكنه، فلا وجه له. ولا يقبل بحال من الأحوال. وإذا كان النبي ﷺ، لم يعلمه الله ما في العلا، إلا قبيل وفاته. كما في حديث اختصاص الملا الأعلى الذي رواه ابن عباس، وصححه البخاري. يقول فيه النبي ﷺ:

«رايت ربي في أحسن صورة... فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب وسعديك. قال: عليم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. فوضع يده على كتفي حتى وجدت بردها في صدري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، وفي رواية: فتجلى لي كل شيء وعرفت الخديث. فكيف يقول الشيخ إبراهيم، أو أبو الطعينين: إن الله أشهد ما

في العلا، وهو ابن ست سنين^(١)! وعلى يعقل أن تكون بدايته هي نهاية أنبي^(ص) ١٩ ثم إذا كان نال من العلوم والأسرار، وهو ابن أربع عشرة سنة، فكيف صاف من القضاة الذين اتوا ليستمعوا بأسرائهم، حيث بعث إليهم نقيبهم. دفعهم دفعة^(٢)! أوصلتهم خلف جبل قاف^(٣)! يظهر أنه لما كبر، نسي تلك العلوم والأسرار^(٤)! ولهذا لم نجد له من الآثار العظمى ما يدل على صحة تلك الذعوى.

أما قوله: أنا موسى عليه السلام في مناجاته، أنا على رضى الله عنه في حسنة، أنا كفى ولي في الأرض، خلعت بيدي، أليس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي. وعلى الكرسي خاطبته. أنا بيدي أبواب النار غلقتها. وبيدي جنة الفردوس فتحتها. من زارني أسكنته جنة الفردوس. فهذا ونحوه من الشطحيات قرأناه لكثير من الخفايا من المؤلفين. وما يدل على شطحية هذا الكلام وسطحيته: أن الأحاديث الواردة في الزيارة النبوية تقول: من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة^(٥) والشيخ إبراهيم يقول: من زارني أسكنته جنة الفردوس.!! مددياً أي العينين! ومهما يكن من أمر، فلا يعني أن يكون الشيخ إبراهيم هو موسى أو علياً أو يلبس الخلق لمن شاء من الأولياء. لكن يعني أن نقرأ له كلما حل به آية منسككة، أو حديثاً عسر فهمه على غيره، أو حكمة مثل حكم ابن عطاء الله. وذلك عزه وجوده في آثار أبي العينين المسمى رضى الله عنه. وذكرنا الشمراني أيضاً عن شيخه الشيخ نور الدين المصفي: أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة.

قلت: هذا غير معقول، ولا مقبول. بل هو من قبيل طي الزمان الذي بينا استحالة فيما مر. فلو فرضنا أنه قرأ القرآن هزيمة، لما استطاع أن يقرأ ثلاث مائة ختمة في اليوم واليلة.

نعم قد يبارك الله في وقت الولي فييسر له قراءة ختمة في زمن أقل من غيره. لكن لا تصل البركة إلى حد الاستحالة^(٦).

(١) كنا نسمع حكاية مضمونها أن رجلاً قال لآخر: لأقربك برجلي صرة ترصلك إلى مكة. فأجابه الآخر:

تعل الله برجلي حجة بغيرك. ويظهر أن الرجل انضرب هو نقيب الشيخ إبراهيم المدوني.

(٢) مع أنه لم يعمر خيلاً، بل توفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

(٣) اسم من كان اسمه: علي بن أبي طالب، له الحكمة: لا أعرف من عباد الله من كان له مثل ما كان لي.

(٤) وعشرين ألف ختمة، وأود لو كانت سبباً لتصفح عن زقة واحدة، وقعت فيها. وقد مات عن ثلاث و

تسعين سنة. فمن المعقول أن يقرأ هذا العدد من الختمات في عمره الطويل المبارك، رضى الله عنه.

كرامة مخيفة لشخص الشيخ عبيد

وقال الشعراني أيضاً: أخبرني بعض الثقات: أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت فلم يستطع أحد أن يزرحها. فقال الشيخ عبيد أربطوها في بيض بحقي، وأنا أنزل أسحبها. ففعلوا، فسحبها ببرهة حتى تخلصت من الوحل إلى البحر.

ذكر هذه الحكاية في ترجمة أبي علي المعروف بأبي العلا^(١). وهي حكاية مكتوبة، وإن قال الشعراني: حدثه بها بعض الثقات. فإن هذا تعديل على الإيهام، وهو غير مقبول. وبعض الثقات، الذي حدثه، هو الذي صنع هذه الحكاية. ولو فرضنا صحتها، فما كان ينبغي التحدث بها، لمناقشتها الذوق والأدب.

كرامة مخيفة لشخص يسمى الشيخ علي وحيش

ونظيرها ... مع شدة فحشها ... ما حكاه في ترجمة الشيخ علي وحيش المجذوب: كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الخمار، ويقول له: أمسك رأسها حتى أقبل فيها. فإن أبي شيخ البلد، تسم في الأرض، لا يستطيع أن يمسك خطوة. وإن سمع، حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه. فلا معنى لذكر هذه الحكاية ولا لذكر صاحبها، بعد الاعتراف بأنه مجذوب. لأن الغرض من ترجمة الولي، وذكر بعض كراماته. الاعتبار بما قدم من أعمال صالحة والاقتداء به. والمجذوب ليس أهلاً لفقدوة. نقل الشعراني عن شيخه الشيخ علي البرلسي الخواص: أنه كان يقول: إن السوق وأهل التصانيع والحرف، أعظم درجة عند الله، وانقاع من المجاذيب. لقيامهم في الأسباب. وكان أيضاً يقول: المجاذيب والأطفال في الحالة سواء، إلا أن الأطفال يتميرون عن المجاذيب بسريالهم في الجنة. كما ورد: أنهم دعاهم الجنة أي غواصون فيها. وإن ذكر مجذوب على سبيل الاسترواح، والاعتبار بشعمة العقل، فلا يجوز ذكر ما كان يفعله من أعمال قبيحة: مثل إتيان الخمار على قارعة الطريق.

الشيخ علي أبي خودة

وذكر في ترجمة الشيخ علي أبي خودة: أنه كان بهوى العبيد السود والحيش، وأنه كان إذا رأى امرأة أو أمرد، رواده عن نفسه وحسن على مقعدته. سواء كان ابن أميراً أو

(١) يعرف في مصر بالسلطان أبي العلا. وعلي غريحه جامع نقام فيه الجمعية بجهة بولاق. وكان مجذوباً صاحب أحوال، ولا أخرى من ابن أبي له نخب السلطان؟

وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس.

قلت: هل هذه منقبة تستحق أن تسجل مع مناقب الأولياء والشعرائي مهمل لذكر هذه القبيائح بأن الشيخ كان ملامتياً، يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً، فإذا أنكر عليه أحد أعطبه ويظهر أن الشيخ كان حاكماً على الناس، فيفعل ما يدعوهم إلى الإنكار عليه، فيشفي حقه بإعطائهم، إن كان يقدر عليه والذي تعرفه عن الملامتي: أنه يفعل ما يلام عليه، من غير مباشرة لمصيبة. كان يقف بباب خمارة، فيشوههم من يراه أنه كان داخلها، أو هو يريد أن يدخلها. أو يقف بباب المسجد والناس يصلون جماعة، فيلام على ترك الجماعة. مع أنه يكون قد صلى تلك الصلاة في مسجد آخر، أو مع أهله في بيته جماعة. وهو نوع من السلوك، أخذ به بعض الصوفية ليعلو مقام المريد، ويكثر ثوابه، بإنكار الناس عليه. ومعظم الصوفية لا يرضونه، ولا يأخذون به، لسببين:

١ - أن الشرع يحض على اجتناب مواضع التهم، ويجعلها من خوارم المروءة المسقطه للمعدلة. وعمر رضي الله عنه كان يقول: من وقف مواقف التهم، فلا يلوم من أساء به الظن.

٢ - أنه لا يجوز للشخص أن يفعل شيئاً يحمل الناس على اغتيابهم له، ليصاب بذلك الاغتياب. ولو فعل ذلك، واغتيبه. كان آثماً. لأنه أوقعهم في إثم الغيبة.

ومن هنا لا نجد في الشاذلية والناقدية ملامتياً، ولا صاحب أحوال. لأن السلوك في هذين الطريقين، مبني على أساس شرعي مستقيم.

مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه على تلقين الذكر

ونقل الشعرائي أيضاً عن شيخه أبي الفضل الأحمدي، في كلامه على شروط تلقين الذكر: أنه قال: فأما تلقين الذكر، فيشروطه عندي: أن يعطيه الله تعالى من القوة والتمكين، وكمال الخصال ما يمنح المريد، عند قوله: قل: لا إله إلا الله، جسمي عظم الشرائع المنزلة. إذ هي كلها أحكام لا إله إلا الله. فلا يحتاج بعد ذلك الخلق، إلى تعليم شيء من الشرائع. كما حصل لعلي رضي الله عنه. حتى كان يقول: عندي من العلم الذي أسره إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فيقول له ابن عباس: كيف؟ فيقول: إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٣٤) [الصفحات: ١٣٤]، فلا يدرى ما وضع لرسول الله ﷺ بعد ذلك.

قلت : هذا الكلام ليس له إمتداد عن علي عليه السلام ، ولا يصح عنه . والآية التي ذكرها ثم يقلها جبريل عليه السلام ليلة الإسراء ، وإنما قالها أسلافة ، رداً على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . اقرأ قبل الآية المذكورة : قول الله تعالى رداً عليهم ﴿ قَاَسَتْهُمْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْيَاقُوتَ وَلَهُمُ الْيُونُ (١٦٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ نَسَاهِدُونَ (١٧٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهٍ يُنْسِقُفُونَ (١٧١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٧٢) ﴾ [النصائبات : ١٤٩ - ١٥٦] ، إلى آخر الآيات وفي آخرها يقول الملائكة ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٧٣) ﴾ [النصائبات : ١٦٤] ، أي نحن عبيد مسخرون ، لكل واحد منا مقام معلوم لا يتعداه ، ولست ببينات الله تعالى ربنا عن ذلك . ولا علاقة للآية بليلة الإسراء ، كما يفهمه كثير من الناس غلطاً . لكن لا يصح نسبة الغلط إلى علي عليه السلام فإنه أعنى من أن يقع في مثل هذا الغلط الذين ، أم ما ذكره أبو الغضنفر في التفتيش أمر عسير ، لا يتحقق فيه نفسه ، ولا في كثير من الأولياء ، فضلاً عن دونهم . ويمكن أن يكون قصد به سد الباب على مدعى الشيعة في عصره ، كما لمع لذلك في أول كلامه (١) .

(١) من الغلو الذي سهواً عن التفتيش عليه في المقدمة : ما شاع عند كثير من الناس : أنهم يبعثون خطبته إلى البيت إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه ، يقولون منه قضاء حوائج وتوسلات وغير ذلك . ويسمونها ساعي الشافعي إلى خدم المسجد ، فيلقونها في الضريح . وقد زرت قبر الإمام الشافعي مرات ، فوايت خطبته شغراً في ضريحه ، ورايت زوراً يقولون خطبات علي الله ، ربيع ، فيها مطالب لهم . وكل ذلك غلو مدساة لجهنم بقواعد الدين الذي ينهي عن ذلك ولا يقره .

الباب الثالث

ذكر نماذج من كرامات معقولة

كرامة الحسن بن علي عليهما السلام

نقل العلامة الشيعي عبد الرحمن الأجهوري المالكي في مشارق الأنوار، عن الحسن بن علي عليهما السلام، أنه قال: حسن عتي عظامي معاوية، في بعض السنين... وكان مائة ألف... فحصل لي ضيق شديد. فدعوت بنوفا، لاكتب إلي معاوية. لأذكره نفسي، ثم أصيبت. فرأيت رسول الله ﷺ في المنام... فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير، وشكوت إليه تأخير المال عتي. فقال: ادعوت بنوفا لتكتب إلي معذرة مثل ذلك تذكره؟ فقلت: يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال: قل: انلهم أنسلف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي بغير سواك، حتى لا أرجو أحدا غيرك. اللهم ما ضمنت عند قوتي، وقصر عني عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تطفه مسألتي، ولم يعر عني نسائي. مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا أرحم الراحمين. قال: فوالله ما ألحمت به أسبوعا، حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه. فرأيت النبي ﷺ فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله. وحديثه يحدني. فقال: يا بني هكذا من رجا الخلق ولم يرج المخلوق.

عمر يقم الحمد على ابنه

روى الخطيب وغيره عن عمرو بن العاص. قال: بينما أنا بمنزلي بمصر، إذ قيل لي: هذا عبد الرحمن بن عمرو وأبو سرور، يستأذنان عليك. فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسرا، فقالا: أقم علينا حمد الله، فإننا أصبنا البسارحة شرابا وسكرنا، فزجرتهما وطردتهما. فقال عبد الرحمن: إن ثم فعل، أخبرت والذي إذا قدمت عليه. فعلمت أني إذا ثم أقم عليهما الحمد، غضب علي عمرو، وعزنتي. فآخريتهما إلي صحن الدار، فضرتهما الحمد. ودخل عبد الرحمن ناحية إلي بيت في الدار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود، والله ما كتبت إلي عمرو بحرف ما كان. حتى إذا كان بعد أيام.

وأقناني كتابه . يقول : فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عن عبد الله عمره إلى عمرو بن العاص عصبته لك وتحبوا تلك على . وخلا هذه عصبتي . فما أرايتي إلا عازلة . . . تضرب عبد الرحمن في بيتك . وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني . إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين . ولكن قلت : هو ابن أمير المؤمنين . وعرفت أن لا هوادة لاحد من الناس عندي في حق . إذا جاءك كتابي هذا . فأبعث به في عبادة علي قتب . حتى يعرف سوء ما صنع . فبعث به كما قال أبو . وكاتب عمرو إلى عمر يعترف إليه . يقول : إني ضريته في صحن دارى . وبالله الذى لا يخلف باعظم منه . إني لأقيم الخدود في صحن دارى على المسلمين والمسلمين .

وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر . فقدم به على أبيه ، فدخل وعليه عبادة . ولا بتسطيع المشي من سوء مركبه . فقال : يا عبد الرحمن فعلت وفعلت . فكلمه عبد الرحمن بن عمر . وقال : يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الخد . فلم يلتفت إليه ، فجعل عبد الرحمن يصيح ، ويقول : إني مريض وأنت قاتلى . فضربه الخد ثانية وحبسه فمرض ثم مات . وهذه الأكرامة لى هذه القصة أن عمر رضي الله عنه علم ما حصل من واليه لى مصر . وهو بالخديعة من غير أن يكتب إليه أحد بذلك . وليس هذا بكثير على عمر اللهم .

عمر أقام الخد على ابنته أبي شحمة حتى مات

وروي قصة أخرى لعمر مع ابنته أبي شحمة عبد الرحمن نذكرها إتماماً للقصة - وإن كان سندها غير صحيح - روى الأديلة في المنتقى من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : ثقت رأيت عمر وقد أقام الخد علي ولده فقتله فيه . فقبل له : كيف كان ذلك ؟ فقال : كنت يوماً في المسجد ، وعمر جالس . والثامن حوله ، فأقبلت جارية . فقلت : أئسلام عبيك يا أمير المؤمنين . فقال عمر : وعليك السلام ورحمة الله . فقلت : أنت حاجة ؟ قالت : نعم ، خد ولدك هذا منى . فقال عمر : إني لا أعرفه . فبكيت أختارية ، ففألت : يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك ، فهو ولد ولدك . فقال : أي أولادى ؟ فقلت : أبو شحمة . فقال : أبحلال ؟ أم بحرأم ؟ فالت : من قبل ببحلال ، ومن جهته بحرأم . قال عمر : وكيف ذلك ؟ اتقى الله ولا تقولى إلا حقاً . قالت : يا أمير المؤمنين ، كنت مأرة في بعض الأيام ، فمررت بحائط بني النجار . إذ أتاني وكذلك أبو شحمة وسماعيل سكرًا . . . وكان شرب عند نسيكة اليهودي . قالت : ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الخائط . وقال

منى ما بنال الرجل من المرأة. وقد أغشى عليّ. فكشمت أحدى عن عمى وجرائى. حتى أحسست بالولادة. فخرجت إلى موضع كذا. فوضعت هذا الغلام. وهيمت بقتله. ثم ندمت على ذلك. فاحكم بيني وبينه بحكم الله. فأمر عمر منادياً ينادى فاقبل الناس يهرعون إلى المسجد. فقال عمر: لا تفرقوا حتى آتيكم. ثم خرج. فقال: يا ابن عباس اسرع معى فاسرع حتى وصل منزله. فصرع الباب. وقال: ها هنا ولدنى أبو شحمة؟ فقبله. وإنه على أنطعام. فدخل عليه. وقال: كل يا بني فموشك أن يكون آخر زادك من الدنيا. قال ابن عباس: فلقه رأيت الغلام. وقد تغير لونه. ولرتعد وسقطت القسمة من يده. فقل عمر: يا بني من أنا؟ قال: أنت أبى وأمير المؤمنين. قال: فلي حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان: لأنتك والذى وأمير المؤمنين. قال عمر: بحق نبيك، وبحق أبيك هل كنت ضيقاً لنسيكة اليهودى؟ فشرهت أنحمر عنده فسكرت قال: قد كان ذلك. وقد نيت. قال: رأس مال المؤمنين الشربة. قال: أنشدك بالله هل دخلت حائط بنى النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى. قال: لا ياس، اصدق يا بني فإن الله يحب الصادقين. قال: قد كان ذلك، وأنا نائب تادم. فلما سمع عمر منه، قبض على يده ولبيبه وسجده إلى المسجد. فقال: يا أيت لا تنفض حتى، وخذ السيف واقتلنى. قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢٤) ثم جره إلى المسجد. وقال: صدقت المرأة، وأمر أبو شحمة بما قالت. وكان له مخلوق يقال له: أفلح. فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك، وأجلده مائة سوط، ولا تقصر فى ضربه. فقال: لا أفعل وبكى. فقال: يا غلام إن طاعنى طاعة لله ولرسوله، فافعل ما أمرك به. فتنع ثيابه. وجعل الغلام يقول لأبيه: أرحمنى يا أيت. فقال له عمر: إنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمنى. ثم قال: يا أفلح اضرب، فضربه وهو يستغيث، حتى بلغ سبعين. فقال: يا أيت اسقنى شربة من ماء. فقال: يا بني إن كان ربك يظهر لك، فيسقيك محمد ﷺ شربة لا تظلم بعدها أبداً، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ ثمانين. فقال: يا أيت السلام عليك. فقال: وعليك السلام إن رأيت محمداً فاقوله منى السلام. وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ تسعين. فأنقطع كلامه وضعف. فرأيت الصحابة قالوا: يا عمر انظر كم بقي؟ فأخبره إلى وقت آخر فقال: كما لم تؤخر العصىة. لا تؤخر العقوبة. وجاء أنصريخ إلى أمه. فجاءت يا كية صارخة. وقالت: أحج بكل سوط. حجة عاشية، وأنصدق بكذا وكذا درهما. فقال: إن أفلح

والصدقة، لا ينويان عن أخذ . فضربه فلما كان آخر سوط، سقط الغلام ميتاً . فصاح عمر، وقال : يا بني مريض الله عندك الخطايا . ثم جعل رأسه في حجره، وصار يبكي ويقول : يا بني من قتله الحق، يا بني من مات عند الغضاء أخذ، يا بني من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فضج الناس بالبكاء والتحجب . فلما كان بعد أربعين يوماً، أقبل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، صبيحة يوم الجمعة . فقال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام . وإذا النفسى معه، وعليه حفتان خضراوان . وقال رسول الله ﷺ : أقرئ عمر مني السلام، وقل : هكذا أمرك الله أن تقر القرآن، وتقيم الحدود . وقال الغلام أقرئ أبي مني السلام، وقل : طهرك الله كما طهرني .

كرامة زين العابدين

وقتل أبو حمزة الثمالي : أنبت باب علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام . فكرهت أن أنادي . فعدت علي الباب إلى أن خرج . فسلمت عليه . ودعوت له فرد . ثم انتهت بي إلى حائط . فقال : يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط؟ قلت : بلى يا سيدي قال : فإني متكئ عليه، وأنا حزين مفكر، وإذا دخل علي رجل حسن الثياب، فليب الرائحة . ثم نظرت وجهي، وقال : يا علي بن الحسين أراك كئيباً حزينا علي الدنيا . فهو رزق حاضر، يا كل منه أيار والمأجر . فقلت : ما عليهما حزن، وإنما كما تقول . قال : فعلام حزنك؟ قلت : أتحوف فتنة ابن الزبير . قال : فضحك . ثم قال : يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت : لا . قال : يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت : لا . ثم نظرت . فإذا ليس قدامي أحد . فحجبت من ذلك وإذا بقاتل أسمع صوته، ولا أرى شخصه . يقول : يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك . نقل هذه القصة العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصباح المكي المالكي في كتاب الفصول المهمة .

كرامة جعفر الصادق

وحدث عبيد الله بن الفضل بن الربيع، عن أبيه . قال : لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة . فقدم المدينة . فقال للربيع : أبعث إلي جعفر بن محمد ... الصادق ... من يأتيه به متعباً . فتلني الله إن لم أقتله . فتغافل الربيع عنه وتأسا . فاعاد عليه في اليوم الثاني، وأخلف في القبول . فأرسل إليه الربيع : فلما حضر . قال له الربيع : يا أبا عبد الله

أذكر الله تعالى، فإنه قد أرسل إليك من لا يدفع شره إلا الله. وإنى أتخوف عليك. فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم إن الربيع دخل به على المنصور. فلما رآه المنصور. اغلظ له في القول. وقال: يا عبد الله اتخذك أهل العراق إماماً، يجهون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتتبع لي الغوائل. فتلني الله إن لم أقتلك. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر. وإن أيوب ابتلى فصبر. وأن يوسف ظلم فغفر. وهؤلاء أتبعاء الله، وإليهم نسيك، ولذك فيهم أسوة حسنة. فقال المنصور: أجل يا أبا عبد الله أرتفع إلي هنا عندي. ثم قال: يا أبا عبد الله إن فلانا أخبرني عنك بما قلت لك. فقال: أحضره يا أمير المؤمنين. لموافقني على ذلك. فاحضر الرجل الذي سعى به إلي المنصور. فقال له المنصور: أحلف ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال جعفر: استحللته يا أمير المؤمنين بباذر الرجل. وقال: والله العظيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد. وأخذ يعدد في صفات الله تعالى. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين أحلفه بما تستحلله. فقال: حلفه بما تختار، فقال جعفر: قل: مررت من حول الله وقبرته إلى حولي وقوتي. لقد فعل جعفر كذا وكذا، فأمتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظرة منكرة. فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخرم ميتاً مكانه. فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه. ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله. أنت أليق الساحة، المسلم الناحية للمؤمن الغائبة عني بالطيب. فأتى بالخلية، فجعل يغلف بها لحيته، إلى أن تركها تظفر. وقال: في حفظ الله وكلاءته وأحقه يا ربيع بجوائز حسنة. وكسوة سنية. قال الربيع: فلحقته بذلك. ثم قلت له: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلمنا حركتهما. سكن غضب المنصور. بأي شيء كنت تحركهما؟ قال: بدعاء جذي الحسين. قلت: وما هو يا سيدي؟ قال: اللهم يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كسرتي، أحمرستي بعينك التي لا تنام. وأكنفني بركتك الذي لا يرام. وأرحمني بقدرتك على. فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر. اللهم بك أدرك في نحره. واستعيز من شره. إنك على كل شيء قدير.

قال الربيع: فما نزل بي شدة. ودعوت به إلا فرج الله عني.

قال الربيع: وقلت له: منعت الناسعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه. وأحلفته

بسميتك فما كان إلا أن أخذ لوفته ما أكرمه فيه ؟ قال : لأن في عيونه توحيد الله وتمجيده وتزويده . فقلت : يحلم عليه ، ويؤخر عنه العقوبة . وأحببت تعجيلها إليه . فاستخلفته بما سمعت . فأخذ الله لوفته .

وقتل داود بن علي بن عبد الله بن عباس : الملقب بن حسن مولى كان لجعفر الصادق . وأخذ ماله . فبلغ ذلك جعفرًا فدخل داره . ولم يزل قائمًا ليله كله إلى الصباح . فلما كان وقت السحر سمع منه في مناجاته : يا ذا القوة القوية . يا ذا الجلال الشديد ... يا ذا العزة التي خلقت لها ذليل . أكفينا هذا الطاغية وانتقم منه . فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات ، وقيل : مات داود بن علي فجأة .

ونقل الشيخ نور الدين بن العسباغ ، في الفصول المهمة ، عن الشيخ نصر الله بن يحيى - وكان من الثقات بخيرين - قال : رأيت في المنام عليًا عليه السلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين تقبلون يوم فتح مكة : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم علي وذو ذلك الحسين بكر بلائهم منهم ما تم . فقال لي كرم الله وجهه : أتعرف أبيات ابن الصفي التميمي في هذا المعنى ؟ قلت : لا .

قال : اذهب إليه واسمعهما منه . فاستيقظت من رومي مفكرًا . ثم ذهبت إلى دار ابن الصفي -- وهو أخو أبي يحيى -- بعض الشعاع المشهور -- فطرقته عليه الباب ، فخرج إلي . فقصصت عليه الرؤيا ، فبهق وأجهش بالبكاء . وحلف بالله : ما سمعها مني أحد : وما ظميتها إلا في ليلتي هذه . ثم انشد :

مكنا فكان المسفر منا مسفر

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحلثتم قسائل الأسارى وطالما

غسدونا عشي الأسرى نعف ونصفع

وحسبكم هذا التسفأوت بيننا

وكل إناء يالذي قسسه برشح

قلت : هذه كرامة ظاهرة لعلي عليه السلام بعد وفاته .

كرامة موسى الكاظم

وروي الترمذى في كرامات الأولياء، والخطيب في معالم العترة النبوية، وابن خبوز في مشير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، عن حاتم بن علوان الأصم، قال: قال لي شقيق البغدادي: خرجت حاجاً، مئة ست وأربعين ومائة، فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الفج وزينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس متفرداً، فقلت في نفسي: هذا النفسى من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس ويكون كلا عليهم في طريقهم، والله لا أمضي إليه ولا أبعده فدنوت منه، فلما رأيته مقبلاً نحوه، قال: يا شقيق ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم تركني وولي، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عجيب: تكلم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لا لحبه ولا لئله الدعاء، وأتفقه لما ففست فيه، فذاب عني ولم أراه، فلما نزلنا وادي قضة، فإذا هو قائم يصلي، فقلت: هذا صاحبى، أمضى إليه واستحلته، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إلي، وقال: يا شقيق انل ﴿وإني لأغفل﴾ لمن تأب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٢]، ثم قام ومضى وتركني، فقلت: هذا فتى من الأبدال، فقد تكلم على سرى مرتين، فلما نزلنا بالابواء، إذا أنا بالثاني قائماً على البير وأنا أنظر إليه، وبينه ركوة، فيها ماء، فسقطت من يده في البير فرفق السماء بطرفه، وسمعت يقول:

أنت شمسى إذا ظلمت من الماء

وفسوسى إذا أربت طمساً

ثم قال: إلهى وسيدى مالى سواك، فلا تعد منيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البير، والركوة خافية عليه، فمد يده فأخذها، فتوضأ منها، وصلى أربع ركعات، ثم مأل إلى كتيب رمى، فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة، ويحركها ويشرب، فقلت نحوه، وسلمت عليه، فرد على السلام، فقالت: أما ترى ما أكرم الله به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله على ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة، فشربت منها، فإذا فيها سويق يسكر، فوالله ما شربت قط ألد منه، ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعت فأقست أياماً لا أستهي طعاماً ولا شرباً، ثم لم أراه، حتى نزلنا

تمكة. فمرأته ليلة إلى جنب قبة الطراب نصف الليل. وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء. فلم يزل كذلك، حتى طلع الفجر. ثم قام إلى حاشية المطاف، فركع ركعتي الفجر هناك، ثم صلى مع الناس. ثم دخل المطاف، فطاف إلى بعد شروق الشمس. ثم صلى خلف المقام، ثم خرج يريد اندهاب. فمخرجت خلفه أريد السلام عليه، وإذا به جماعة أحاطوا به يمينا وشمالاً، ومن خلفه ومن أمامه. وخدم وحشم وأتباع، خرجوا معه. فقلت لأحدهم: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

كرامة ابنه علي الرضا

وروي الخاكم في تاريخه، عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكان قد وافى المسجد الذي كان ينزله الخجاج من بلدنا ... نيسابور ... في كل سنة. وكانت مضيت إليه، وسلمت عليه، ووقفت بين يديه. فوجدته عنده طبق من خوص المدينة، فيه تمر صبيحاني، وكان فيه قبضة من ذلك التمر فتناولتها. فوجدتها ثمانى عشرة تمر، فقلت إني أعيش بكل تمر سنة. فلما كان بعد عشرين يوماً، وأنا في أرض لي تعمم للزراعة. إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي حسن علي الرضا ابن موسى الكاظم، ونزوه بذلك المسجد. ورأيت الناس يسعون له من كل جهة، يسلمون عليه. فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالساً فيه. وتحته سمير، مثل الخصر الذي كان تحته ﷺ. وبين يديه طبق من خوص المدينة، وفيه تمر صبيحاني، فسلمت عليه. فرد السلام، واستداني. وتناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا هي بعدد ما تناولني النبي ﷺ في النوم، ثمانى عشرة تمر. فقلت: زدني. فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك.

ونقل العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصانع المكي المائتي في الفصول المهمة، عن أبي خلد، قال: كنت بالمعسكر هي بقعة سر من رأى أو سامرا ... فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتى به من الشام ... مكبلاً بأخديد. وقالوا: إنه تنيا. فأتيت باب السجن، ودفعت شيئاً للسجان، حتى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقل ولب. فقلت: يا هذا ما قصصك؟ فقال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى، في الموضع الذي يقال: إنه نصب فيه رأس الحسين. فبينما أنا ذات ليلة في موضعي، مقبلاً على الخراب، إذ كر الله تعالى. إذ رأيت شخصاً بين يدي، فتظرت إليه. فقال لي: قم، فسلمت معه. فمشى

قليلًا، فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة. قال: فصل فصليت معه. ثم انصرف، فالتصرفت معه قليلًا، فإذا نحن بمكة المشرفة، فطاف بالبيت، قطعت معه. ثم خرج فخرجت معه، فمشي قليلًا، فإذا أنا بموضع الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام. ثم غاب عني، فبقيت متعجبًا حولًا مما رأيت إذا ما كان العام الماضي، إذ ذاك الشخص قد أحبل على، فاستبشرت به، فذهنتي، فلم أعمل شيء، كما فعلت في العام الماضي، فلما أراد عفا رقتي. قلت له: بحق الذي أتقرك؟ علي، إذا رأيت منك إلا ما أخبرتني: من أنت؟ فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر.

فحدثت بعض من كان يجتمع بيني في ذلك الموضع، فرفع ذلك إلي محمد بن عبد الملك الزيات. فبعث إلي من أخذني من موضعي، وكيفني ياخذني، وحملني إلي العراق كما ترى، وأدعني علي بالخال. فقلت له: فأرفع قصتك إلي محمد بن عبد الملك الزيات؟ قال: أفعل. فكتبت عنه قصته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلي محمد بن عبد الملك الزيات. فوقع علي ظهرها: فلي للذي أخرجك من الشام إلي هذه المواضع التي ذكرتها: يخرجك من السجن. قال أبو خنيفة: فاعثمت لذلك، وسقط في يدي. وقلت: إلي عند آتية وأمره بالنصير، وأعده من الله بالنسج، وأخبره بمكان هذا الرجل المشجير. فلما كان من الغد، بكرت إلي السجن. فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج. فسألت: ما الخبر؟ فقلت لي: إن الرجل المتين لعمول من الشام. فقد أراحته من السجن وحده، وأصبحت قهوة والأغلال التي كانت في عنقه عرمة في السجن، وطلب فلم يوجد له أثر. فتعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره، واستهزأ به بقصته، فخلصه من السجن.

كرامة سليمان الشوري

وبعث أبو جعفر المنصور. الخشني ابن أمامه، حين خرج إلي مكة. وقال: إذا رأيتم سفينان شوري فاصنوه. فوصلوا مكة، ونصبوا أنشوب للصلب. وجاءوا إليه، فوجدوه قائما. رأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر سفينان بن عيمته. فقالوا: يا أبا عبد الله أتق الله. ولا تشمت بنا الأعداء. فنقدم إلي أمثار الكعبة. وقيل: يركب منه إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخل مكة قلت: سفينان بن سميذ الشوري، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أحد الأئمة الثبوعين. قال النسائي: هو أجل من أن يقال فيه: ثقة. كان منقطع التفسير في الزهد والعبادة. سئل عن رجل يكتسب لعياله. ولو صلى

في الجماعة، لفاته القيام عليهم : ماذا يصنع ؟ قال : يكتسب لهم، ويصلي وحده. ومن كلامه : إذا رأيتم شرطياً نائماً عن صلاة، فلا توقظوه لها، فإنه يقوم يؤذي الناس. وقال : كثرة النساء ليست من الدنيا، لأن علياً رضي الله عنه، كان من أزهد الصحابة. وكان له أربع نسوة، وتسع عشرة سرية.

كرامة محمد الحنفى

كان شخص من التجار، شديد الإنكار على القطب شمس الدين محمد الحنفى. وكان أحياناً يأتى إلى باب الزاوية، ويرفع صوته. بالألغاف القبيحة في حق الشيخ. فدار عليه الزمان، وأفلس وركبته الديون. فجاء إلى الشيخ رضي الله عنه، فتلقاه بالترحيب. وجميع له من أصحابه مالاً جزيلاً. ولم يزل يعتقده الشيخ إلى أن مات. قلت : الشيخ شمس الدين محمد الحنفى، من الإقطاب الكبار. له منزلة كبرى في الولاية، وكثيراً ما كان يقول : لو كان عمر بن القارص في زماننا ما سمعته إلا الوقوف بيابناً، وذكره عنده السيد عبد القادر الجيلاني، فقال : لو حضر عندنا عيد القادر هنا، لكان يتأدب معنا، وهذا من بابنا التحدث بالنعمة، والتعريف بنفسه، وقد وقع مثله لكثير من العلماء، فالبخارى - رضي الله عنه - قال عن شيخه عفى بن المديني :

” وددت لو أبى كنت شعرة في صدره، ومع ذلك كنت أعرب عفيه، يعنى أن البخارى كان يأتى بأحاديث لا يعرفها شيخه عفى بن المديني الذى كان يحفظ ألف ألف حديث^(١)، وقال العلامة الشيخ أحمد بن المبارك اللصطي : لو أدر كنا السعد أو السيد، لما سمعنا إلا أن يأخذ عنا، وقد كان سعد الدين التفتازاني والسيد الشريفي الجرجاني، إمامين في علوم الأصول والبلاغة والمنطق.

ومن الإشارات اللطيفة للشيخ محمد الحنفى : أنه سئل : ما تقول الساقية في غنائها ؟ قال : تقول : لا يرى ملآن إلا طالعاً، ولا فارغ إلا نازلاً، وقال : خطرني أن يأسط توتة كتبت في خلوتي، فقلت : يا توتة حدديني حدوتة، فقلت : نعم، إنهم لما زرعوني سقوني، فلما سقوني أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أوزقت، فلما أوزقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت، قال : فكان كلامها مذكراً لي.

(١) هو أحد جنائز ثلاثة، كان كل واحد منهم يحفظ ألف ألف حديث، والثاني الإمام أحمد بن حنبل، والثالث يحيى بن معين، وكانوا الثلاثة متقاربين في الزمن، وألحق في الخرج والتعديل.

قلت: هذا أصل ما شاع بين النصريين اليوم، حيث يقولون تونة تونة، خلصت الخدوتة.

كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة

نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن الأبهري المالكي في كتاب مشارق الأنوار: أن رجلاً من المغرب، عزم على التوجه إلى الحج، فاعطاه رجل آخر مائة دينار، وقال: تعطيها بالمدينة لشريف صحيح النسب، فلما وصل سأل عن الأشراف، فقالوا له: إنهم عن الشيعة، يسبون الشيخين - رضى الله عنهما - فكره الإعطاء، فجلس بجنبه رجل بالمدينة، فقال له: أنت شريف؟ قال له: نعم، قال له: ما عقيدتك؟ قال: شيعي - فكره الإعطاء له، قال: فممت تلك الثيلة، فرأيت أن القسيامة قامت، والناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أراه فسمعتني فاطمة - رضى الله عنها - فأتيت رسول الله ﷺ، فشكوت إليه، فقال لها: ثم منعتي؟ فقلت: فطع رزق أبي، فقال له رسول الله ﷺ: إنه ما منعه إلا من كونه يسب الشيخين، قال: فالتفت فاطمة - رضى الله عنها - إلى الشيخين - رضى الله عنهما - وقالت لهما: أتؤاخذان ابني بذلك؟ فقالا: لا، بل سأمحناه، فالتفت إلي، وقالت: ما الذي أذخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعاً، فأخذت المبلغ، وجئت به إلى ذلك الشريف، فدفعته إليه، فتعجب من ذلك؛ فقصصت عليه الرؤيا، فقال: أشهدك على أني لا أسبهما.

قلت: أغلب الشيعة الموجودين في هذا العصر نوعان:

زيدية، أتباع زيد بن علي زين العابدين - عليهما السلام - وهؤلاء يتولون الشيخين أياً بكر وعمر ويترضون عليهما، وإن كانوا يرون علياً - عليه السلام - أفضل وأحق بالخلافة منهما، لكنهم يرون جواز إمامة المفضل، مع وجود المفضل، وهم الموجودون باليمن اليوم.

وإمامية، وهم موجودون بالعراق وإيران وسوريا وليبنا وبعض بلاد الهند، وهؤلاء يبخسون الشيخين ويسبونهما كما يسبون عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها -

كرامة مطرف بن عبد الله بن الشيخير

تعدى رجل على مطرف بن عبد الله بن الشيخير، وظلمه، فقتل: أماتك الله على حجل، فسأت في الحال، فطلبوه إلى زياد وهو وال على البصرة، فقال: على سبه؟ قالوا:

لا، قال: فهل هي إلا دعوة رجل صائح، وافقت قدراً فأطفقوه.

قلت: مطرف بعظم الميم، وكسر الراء المتشددة، والمساخير بكسر الشين والحاء المعجمتين المشددتين، كان من فضلاء التابعين، وأبوه صحابي، منى مطرف عن الرجل يتبع الجنازة، حياء من أهليها، هل له في ذلك أجر؟ فقال: ذهب ابن سيرين إلى أن أجره: أجر صلته على أخيه، وأجر مشيه خلفه.

كرامة سعيد بن جبير

لما قدم الحجاج سعيد بن جبير للقتل، قال سعيد: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي، فعاش الحجاج بعده نحو أسبوعين، وقعت الأكلة في بطنه، وكان ينادي بقبة أياقه: مالي وللسعيد بن جبير؟ كلما أردت النوم، أخذ يرجلي.

قلت: سعيد بن جبير أحد علماء التابعين، تلقى التفسير عن أبي عبيس - رضى الله عنهما - هو من الثقات في التفسير والحديث، أخرج له السنة، كان مجاب الدعوة، كان له دين، يقوم على صياحه للصلاة، فلم يصبح ليلة، فنام سعيد عن وروء، فدعا عليه، فمات لوفته، فعزم أن لا يدعو على شيء أبداً.

كرامة ذي النون المصري

وقال ذو النون المصري - رضى الله عنه - : لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد، لغيتنى امرأة زنت، فقالت: إذا دخلت على المتوكل، فلا تهيب، ولا ترى أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك، محققاً كنت أو متهماً، لأنك إن هبته سلطه الله عليك، وإن حاججته عن نفسك، لم يزدك ذلك إلا وبالاً، لأنك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئاً، فادع الله أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك، فيكذلك إليها، فقلت لها: سمعاً وطاعة، فأما دخلت على المتوكل، سلمت عليه بالخلافة، فقال: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت، فقال وزيره: هو حقيقة عندي بما قيل فيه، ثم قال لي: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت: لا كذبت المسلمين، وإن قلت: نعم، كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني، فأفعل أنت ما ترى، فإني غير متعصر لنفسي.

فقال المتوكل: هو بريء بما قيل فيه، فخرجت إلى الأعرج، فقلت لها: جزاك الله عنى خيراً، فعلت ما أمرتني به، فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب، به الهدى لمسلمين - عليه السلام - وكان ذو النون بعد ذلك يقول: من أراد تجريد التوحيد،

وخالفني التوركي، فعليه بالنساء الزعنى ببغداد.

قلت: إليهم المتوكل الحكيم ببراءة ذى الشون، كرامة أكرمه الله بها، حيث فوض الأمر إليه، ولم يحتج لنفسه، عملاً بوصية العجوز الزمنة التي أخذت ما أوصته به، من قصة الهذ، حيث لم يحتج عند سليمان، حين نفسه، بل ترك الاحتجاج، وأخذ بحديثه عن ملكة سبا، فعفا عنه، وأبرده برئداً إليها، كما جاء في القرآن الكريم.

كرامة ابن الخوارث الخافى

قال بشر بن الخوارث الخافى ... رضى الله عنه ... كتبت مرة كتاباً فعرض لى كلام، إن كتبت، حس الكتاب، وكان كذباً وإن تركته، مسح الكتاب، وكان صدقاً، فعزمت على ذكر الكلام للمسح المصدق، فنادى هاتف من جانب البيت ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ١٢٧].

قلت: بشر كان من كبار الصوفية وأجلاتهم، عالم وريح كبير الشأن، صاحب التفضيل بن عياض، ونادب به، كان يرى تفضيل الصدقة، على الجهاد والحج والمعصرة، ويقول: لأن هذا يركب ويحج فيسراه الناس، وذلك يعطى سراً، فلا يراه إلا الله ... عز وجل، ومسأل عن التصوف؟ فقال: هو اسم لثلاثة معان: أن لا يغنى نور معرفة العارف نور ورعه، وأن لا يتكلم فى علم باطن، بكلام ينقطع عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات، عني هنك أستاذ محارم الله - عز وجل، وقال: دخلت دارى مرة، قرأت فيها رجلاً طويلاً قائماً يصلى، فراعنى ذلك، لأن المفتاح كان معي، فسلم من صلاته، ثم قال: لا تفرع، أنا أخوك الخضر، فقلت له: علمنى شيئاً ينفعنى الله به، فقال: قل: أستغفر الله - عز وجل ... وأسأله التوبة من كل ذنب تبت منه، ثم رجعت إليه، وأستغفر الله ... عز وجل ... وأسأله التوبة من كل عقد عقده الله على نفسه، ففسخته ولم أوقف به، وأستغفر الله ... عز وجل ... وأتوب إليه من كل نعمة أتعيم بها على صول عمري، وأستعنت بها على معصية، وأسأله الحفاظ، والحمية من ذلك كله.

بحث فى الخضر

قلت: ذكر كثير من الأولياء أنهم رأوا الخضر، ويسألوه عن أشياء، أجابهم عنها، وعلم بعضهم أدعية وأذكاراً، مثل هذا الدعاء المذكور هنا، وبثل التسبعات المثلثة عنه، وتقرأ بعد صلاة العصر، والخلاط لى حياته وتعميره معروفاً، وفى صحيح مسلم عن أبى

سعيد الخدرى ... وحكى الله عنه - قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا : أن قال : «يأتى وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباع التى تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال : إن قتلت هذا ثم أحببته أنشكون فى الأمر! فيقولون : لا، فيقتله ثم يحميه، فيقول حين يحميه : والله ما كنت قبلك قط أشد بصيرة منى الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يستطيع أن يسلط عليه! قال إبراهيم بن سعد : إن هذا الرجل هو الخضر، هكذا فى صحيح مسلم؛ ولله حافظ ابن حجر كتاب الزهر المنضر فى نيل الخضر، ذكر فيه آثاراً عن رأى الخضر، واجتمع به، وقال : إن الأثر عن عمر بن عبد العزيز، فى اجتماعه بالخضر، صحيح، وكثير من الصوفية، يلى معظمهم بقولون : إن الخضر (١) ولى، وهذا غير صحيح، بلى هو نبي بلا شك، والدليل على نبوته الكتاب والسنة، وقد بينت ذلك فى خواطر دينية.

وقال الشيخ على وفا، فى بعض كتبه : لكل ولى خضر، هو يمثل روح ولابته، كما لكل نبي سورة تنزيل، على تمثل روح نبوته، وهذا يفيد أن الخضر الذى يراه الأولياء، غير الخضر المعهود، وهذا هو المنتجه لوجود :

منها : أن كثيراً من الأولياء ذكروا أنهم رأوا الخضر، ولم يبلغوا فى الولاية درجة تؤهلهم لرؤيته والاجتماع به، فلا وجه لصحة كلامهم، إلا بحمله على ما قاله الشيخ على وفا.

ومنها : أن بعض الأولياء ذكر أن الخضر ظهر له، وطلب منه الصحبة فى سفره، فرفض لولوى، ونيس من المعقول : أن يرفض ولى صحبة نبي سعى إليه موسى - عليه السلام - يطلب مرافقته، والتعلم منه، فلا يله أنه خضر آخر.

(١) قال بعض العارفين : القول بولاية الخضر، فتح أبواب الزندقة، وهو صحيح، لأنه أدى إلى دعوى الخيلة فلهم بلغوا فى الولاية شأواً أعزكو فيه علماً ثم يدر كها بعض الأنبياء، ويحتجون بأن الخضر، وهو ولى، علم موسى رسول حقائق لم يكن يعرفها، ويقولون تعيلاً لذلك : يوجد فى النهر ما لا يوجد فى البحر، وإن الشية لا تقتضى الشهول، وهذا كلام باطل، أوضحنا بطلانه فى كتابنا خواطر دينية، ويحكى أن تعلم أن علم النبي علم يقينى، يفرضه عليه جبريل - عليه السلام - ركن علم الولي إلهام ظنى، يحتمل الخطأ والتدخين، فهل يستويان؟

ومنها: أن الشمراني ذكر أن الخضر صوب له المذاهب الأربعة وبين له أن الخلاف بينها دائر بين تشديد، هو عزيمة، أو تخفيف، هو رخصة، أو توسط بينهما، وألف كتاباً سماه الميزان الخضرية، قرأته، والنبى لا يصغر عنه هذا الكلام لسبب:

أحدهما: أنه لا يؤيد التقليد، ولا يتكلف نتوجيه.

ثانيهما: لو سلمنا أنه أيد التقليد، فلا يمكن أن يحدده في المذاهب الأربعة، ويدع مذهب الظاهرية والزيدية والإمامية والإباضية^(١)، وهؤلاء كلهم مسلمون، يصليون ويصومون ويحججون إلى البيت الحرام، ويفترون القرآن ويأخذون منه ومن السنة أحكام الدين، فلا بد أن الذي ظهر للشمراني خضره أخص الذي يمثل روح ولايته.

وصوب له تقليد الأربعة: وهى المذاهب المعروفة فى مصر، ولم يلتفت إلى طرابلس وتونس والجزائر وعمان، (بضم العين وتخفيف الميم) حيث يوجد مذهب الإباضية ولا إلى اليمن، حيث يوجد مذهب الزيدية، ولا إلى الشام والتحف وفارس وغيرها من البلاد التى يوجد فيها مذهب الإمامية، بل لم يلتفت إلى أشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى الحائمي الذى كان ظاهري المذهب، واختصر كتاب الحلى لأبن حزم الظاهري، ولا إلى الإمام المقرئ المفسر أبى حيان الأندلسى الظاهري المدفون بمصر.

ولهذا كان قول الشيخ عثى وفا - رحمه الله تعالى -: لكلى ولى خضر، فى غاية الوجهة، يؤيده قول أبى تراب النخشبى: رأيت رجلاً بالبادية، لمقتة، من أدت؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ... عز وجل ... والخضر النبى، ليست هذه وظيفته.

وقال النخلميسى: كان النورى إذا دخل مسجد الشونيزية - ببغداد - انقطع ضوء السراج من ضياء وجهه، لذلك سمي بالنورى، قال: وكان إذا حصر معاً، لا تؤذينا البراغيث.

كرامة النورى

قلت: أحمد بن محمد النورى البغدادي، يعرف بأبن اليسغوى، صاحب السرى

(١) بكسر الهمزة، نسبة إلى عبد الله بن عباس بالكسر، قرأت بعض كتبهم كعمدة الربيع بن حبيب، وقد اظهر

السقطين، فهو من أقران الجنيد.

ومن كلامه: ليس التصوف رسوماً ولا علوماً، وإنما هو أخلاق، وقال: وقفت على شيخ يضرب بالسياط، فعددت عليه أنفاً، وهو ساكت، فاستحسنت صبره، مع كبر سنه، فلما أدخل الرجل الخيس، دخلت عليه فسألته عن صبره مع سنه الكبيرة؟ فقال: يا أخي إنما يحمل البلاء، اللهم، لا الأجسام.

كرامة أبي الخير التيناني

وقال أبو الخير الأقطع التيناني: أتيت قبر رسول الله ﷺ وأنا جائع، فقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، ونهيت ونمت خلف القبر، فرأيت النبي ﷺ، فقيئت ما بين عينيه، فدايع لي رغيفاً، فاكلت نصفه، وأنتهيت وبغدي النصف الآخر.

قلت: أبو الخير، أصله من المغرب، كان أوحد زمانه في مقام التوكل، وله دراسة حادة.

من كلامه: إياك أن تطلب من الله أن يصيرك، ولكن يسأل الله المظف بك فهو أولى، لأن تخرج مرارات الصبر شديدة على أمثالنا.

قلت: يؤيد هذا الكلام، حديث النبي ﷺ: فقد مر برجل يسأل الله الصبر، فقال له: سألت الله البلاء فسأله العافية.

وسبب قطع يده: أنه عقد مع الله عقداً ألا يمد يده إلى شيء مما تنبت الأرض بشهوة، فنسى وتناول عتقوداً من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه، إذ تذكر العقدة فرمى بالعتقود، وبصق ما في فمه، وجلس نادماً، قال: فما استقر بي الجنوس، حتى دار بي فرسان ورجال، وقالوا: قم، فساقوني حتى أخرجوني إلى ساحل بحر الإسكندرية، فرأيت هناك أميراً وبين يديه سودان، قد قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون، ومعى ترس وحربة وسيف، فقالوا: هذا منيغ بلاشك، فقطع أيديهم وأرجلهم، إلى أن وصل إلي، فقال لي: قدم يدك، فمدتها فقطعتها، فقال: مد رجلك، فمدتها، ثم رفعت رأسي، وقلت: إلهي وسيدى ومولاى يذى جنت، فسرحتي ماذا صنعت؟ فدخل عليه فدارس، ورمى بنفسه على الأمير، وقال: هذا رجل صالح، يعرف بأبي الخير التيناني، فرمى الأمير نفسه

إلى الأرض، وأخذ يمدى المقصوفة من الأرض يقبلها، وتعلق بي يبكي، وبعثني إلى،
فقلت له: جعلتك في حل، من أول ما قطعتهما، وقلت: يد جنت فقطعت، توفي سنة
تيف وأربعين وثلاثمائة هجرية بمصر، رحمه الله ورثني عنه.

هذا آخر كتاب (النفذ المبرم لرسالة الشرف المحتشم) ..

وكان الفراغ من تبييضه ظهر يوم الأربعاء السادس من شهر شعبان المبارك، من شهر
سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف، ختمها الله بخير، وختم لنا بالحسن آمين والحمد لله
رب العالمين.

بخط ناسخه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن عمر بن عمر التوماني

وفقه الله وعافاه آمين

بحمد الله تم الكتاب

أولياء وكرامات

(إشراف):

محمد بن علي بن يوسف

تعريف بالمؤلف

وُلِدَ صباح يوم الخميس ثمة شهر رجب سنة ١٣٢٨ هجرية، وحفظ القرآن بقراءة ورش وسنة عشر سنوات، وحفظ متن الأجرومية والأربعين النووية، وشرع في حفظ متن الألفية، ومختصر خليل في فقه المالكية، وبلغ المرام من أدلة الأحكام، ثم أعجله السفر لحضور العلم، فلم يتم حفظها.

ما يحمله من شهادات

حصل على شهادة العالمية الخاصة بالخرياء سنة ١٣٥١ هجرية، وهي سونمة بإمضاء الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك، والامتحان فيها يكون في اثني عشر علماً.

ثم حصل على شهادة العالمية الأزهرية، وهي براءة ملكية صادرة من قصر عابدين سنة ١٣٦١ باسم الملك فاروق ويكون الامتحان فيها في سنة عشر علماً.

ولله تلاميذ تخرجوا على يديه، وحصلوا على شهادات عثمينة من الأزهر، وهم في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية واضلع على شيء كثير جداً من كتب الفقه والتفسير والحديث والرجال والفقه والتصوف والأجزاء المفردة الحديثة وغيرها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الخطبة وذكر السيرة النبوية على تأليف الكتاب	٧
مقدمة في ذم الغدائي	٨
الباب الأول	
الفصل الأول: إبطال حكاية تفهيم الرفاعي رد النبي - عليه السلام -	١٢
حكاية الثور الذي نطق في بعض قرون دمشق	١٤
حكاية عن الرفاعي بأطلة	١٨
لا يسمع خطاب النبي - عليه السلام - بكلام فيه حق	١٩
الفصل الثاني: إبطال نسبة رسالة المشرف المحتم إلى السيوطي	٢٢
الباب الثاني	
ذكر كرامات غير معقولة	
سفينة بن عبيدة	٢٦
محمد وفا	٢٦
عبد القادر الجيلاني	٢٦
أبو السعود ابن أبي العشائر	٢٦
لا تقع الكرامة لولي في طقوسه	٢٧
أحمد بن الرفاعي	٢٨
عبد الرحيم القناري الغماري	٢٨

٢٨ بحث في الملائكة ... عليهم السلام
٢٩ فكرة الاقطاب الأربعة لا أصل لها
٣٠ حيد البدوي مجاوب رئيس بقمه
٣١ بعض كرامات البدوي
٣٥ قصة فاطمة بنت برى مكذوبة
٤٠ بعض كرامات إبراهيم الندسوقي
٤٢ حكاية محمد بن هارون مع صبي الفرداني
٤٦ حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى فلى الزمان
٤٤ محمد تاج الدين الذاکر وأبو السعود الجفاري
٤٥ معزة السيدة نفيسة
٤٦ طهران انعمت بالغيت كذبة الشعراني
٤٧ عيسى بن نجم مكث ثاماً ١٧ سنة وعذ نومه كرامة له
٤٧ حصان دخل قبره ولم يخرج منه
٤٩ الشيخ الشيباني رد ملك الموت حين حضر لقبض روح ونده
٥٠ حسن العراقي قاتل المهدي! وبحت في هذا الموضوع
٥٢ اجتماع سهل التستري بشخص من أصحاب عيسى ... عليه السلام
٥٤ كلام للشيخ إبراهيم الندسوقي غير مقبول
٥٦ كرامة سخيطة لشخص يسمى الشيخ عبيد
٥٦ كرامة سخيطة لشخص يسمى الشيخ علي وحيد
٥٦ الشيخ علي أبو خودة والكلام علي الملامية
٥٧ مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلام علي تلقين الذكر

الباب الثالث

في ذكر كرامات معقولة

٥٩	كرامة الحسن بن علي عليهما السلام
٥٩	عمر يقيم الحقد على ابنه مرة ثانية
٦٠	عمر أقام الحقد على ابنه أبي شحملة حتى مات
٦٢	كرامة زين العابدين
٦٢	كرامة جعفر الصادق
٦٥	كرامة موسى الكاظم
٦٦	كرامة ابنه علي الرضا
٦٧	كرامة سليمان النوري
٦٨	كرامة الشيخ محمد الحنفى
٦٩	كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة
٦٩	كرامة مطرف بن عبد الله بن الشيخير
٧٠	كرامة سعيد بن جبير
٧٠	كرامة ذي القرن المصري
٧١	كرامة بشر بن الحارث الخافى
٧١	بحث في الخضر
٧٣	كرامة النوري
٧٤	كرامة أبي الخير التيناني
٧٦	تعريف بالمؤلف
٨٢	الفهرس

